صورة الغلاف الأول :

الأستاذ إبراهيم أحمد (١٩١٤ – ٢٠٠٠)

صورة الغلاف الأخير :

قلعة خوشاب في بوطان

الحوار

مجلة ثقافية فصلية حرة تهتم بالشؤون الكردية وتهدف إلى تنشيط الحوار الكردي - العربي

تصدر في سوريا ـ قامشلي

منذ عام 1993م

رئيس التحرير

د.آزاد أحمد علي

العنوان: قامشلي – شارع الجسرين

للمراسلة: رئيس التحرير azad48412@gmail.com

أسرة التحرير Kurdox88@gmail.com

أسرة التحرير:

د. آزاد أحمد علي رئيس التحرير

نواف بشار عبد الله

سلمان بارودو

محمد دلي

د . بدرخان علي

الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها.

أفضلية النشر للدراسات والمقالات الموثقة علمياً.

تحبذ المجلة عند إرسال المساهمات مراعاة ما يلي:

أن تكون المادة جديدة، منقحة ومنضدة ولم تنشر من قبل.

الإشارات المرجعية الموثقة تثبت بالترتيب:

اسم المؤلف ـ عنوان الكتاب ـ مكان الطباعة وتاريخها.

رقم الصفحة.

تثبيت الاشارة الى الروابط الالكترونية في الهوامش بوضوح.

حقوق الطبع والاقتباس محفوظة للمجلة

محاور واهتمامات مجلة "الحوار" للأعداد القادمة

القراء والكتاب الأعزاء، أسرة تحرير مجلة "الحوار" تقترح عليكم المساهمة في ملفاتها للأعداد القادمة، والتي تتوزع على الشكل التالي:

موجبات الحوار الكردي العربي والحوار السوري – السوري، ضروراته الاجتماعية والسياسية

مستقبل سورية السياسي في ظل المتغيرات الراهنة

تاريخ القرى الكردية وجوانب من حياتها الاجتماعية

دراسات في الأدب واللغة الكردية. دراسات ومواضيع حول: الآثار، التاريخ الكردي، الفلكلور

الهجرة بأشكالها (الأسباب ... النتائج ... الحلول)

قراءات في الكتب والمطبوعات، الوثائق والخرائط

يمكنكم اختيار أي جانب من المحاور المذكورة أعلاه، ونرحب في الوقت نفسه بجميع الدراسات والمساهمات الواردة إلينا بخصوص المواضيع المحددة في سياق المحاور المقترحة أو خارجها.

كما ترحب مجلة "الحوار" بأية ملاحظة أو نقد يرد إليها بخصوص مجمل تجربتها السابقة، أو أي مادة نشرت فيها. وذلك بهدف الارتقاء بالحالة الثقافية والفكرية الكردية نحو أفق أكثر ديمقراطية وتنويراً، ونتعهد بتأمين المناخ الديمقراطي الذي يوفر حرية عرض وجهات النظر كافة، والرأي المختلف، لجميع أصدقائنا وقرائنا في الوسطين العربي والكردي على حد سواء. وذلك لنشر ثقافة عقلانية مستنيرة ووعي متقدم يحيط بحقيقة مشكلات واقعنا بكامل أبعاده.

وبهذه المناسبة ننوه إلى أن مجلتنا متوفرة على شبكة النت عبر

موقع نوروز: www.yek-dem.com

وصفحة الحوار :

/https://www.facebook.com/alhiwarmagazine

الافتتاحية

عقدة الهجرات التاريخية عند النخب العربية

أثرت مسألة الهجرات التاريخية بشدة على الذهنية، أو العقل العربي المعاصر إن جاز هذا التعميم. فقد ساهمت ظاهرة الهجرات في توجيه وتأطير المسار العام للتفكير العربي السياسي. لا شك أنه قد تمت هجرات عربية تاريخية من قلب الجزيرة العربية بإتجاه الجوار الجغرافي عموما وإلى سوريا ومنطقة الهلال الخصيب بشكل خاص. لكن لم يتم تناول هذه الهجرات بموضوعية علمية لا في المناهج الدراسية، ولا في البرامج السياسية، وعلى ما يبدو وظفت هذه الهجرات بطريقة أيديولوجية سطحية، لتساهم في توجيه مسار الحركات والأحزاب السياسية العربية، ولتؤسس لبرامجها، سواء الإسلامية منها أو القومية، لدرجة أن صاغت وأطرت تفكيرها بطريقة صلبة، فتخشبت آليات التفكير لديها، ومازالت تصطدم بحقائق التاريخ ومعضلات الواقع.

السردية العربية العامة، وباستثناءات نادرة، تتلخص في أن هذه الهجرات تمت في مناخات سلمية، وكانت ضرورة للبشرية أيضا، وهي ذات خلفية قومية وروحية. فقد تمت الهجرات من الجزيرة

العربية نحو جوارها الفارغ الخالي من البشر، أو من مجتمعات منظمة، لها خصوصيتها أو هويتها، وحينا آخر يتم تصوير دفعات الهجرة على أنها جاءت استكمالا لدفعات سابقة، إذ كانت تنتظر المهاجرين جماعات عربية مضطهدة من قبل "المحتلين للبلاد العربية"، فأنقذتها، بل تتم المبالغة في الترويج لقصص متخيلة: كاستقبال مجتمعات مسيحية (عربية) للعرب الفاتحين ببهجة وسرور. وفي الحالتين كانت هذه الهجرات مباركة، وخلاصا لهذه المناطق ومجتمعاتها العربية السامية الأسطورية القديمة. بالتالي كانت هذه الهجرات إنقاذا من احتلالات شعوب أخرى متطفلة ومعادية خرقت حدود الوطن العربي، هذه الحدود المخططة والثابتة منذ عصور ما قبل التاريخ، بحسب هذه السرديات ...

أين تكمن المشكلة بالنسبة لهذا التناول؟ تكمن فيما يترتب على هذا المشهد الكاريكاتوري، والمثالي المتخيل أكبر عملية تزييف لتاريخ المنطقة، ويترتب على هذا التناول أسوأ قراءة محتملة للواقع، لماذا؟! لأن الحقيقة تختلف عن هذه السرديات المتخيلة، فالمجتمعات في المحيط العربي كانت مجتمعات منظمة ضمن ممالك وامبراطوريات كبرى، كانت مجتمعات تستمد جذورها من بيئات حضارية، مكتفية اقتصاديا، ومنظمة سياسيا، كانت مجتمعات متجذرة وموغلة في القدم. فمجتمعات شمال الجزيرة العربية، ومجتمعات شرق البحر المتوسط، كانت مجتمعات إنتاج وعمران، مجتمعات كفاية، انبثقت عنها مدن وحضارات، كانت باختصار مجتمعات متقدمة كثيرا على مجتمعات قلب الجزيرة العربية البدوية الفقيرة.

إن تثبيت سردية الهجرات العربية الأولى، ولاحقا الفتوحات الإسلامية في خانة الأسبقية التاريخية، وأحقية العرب بالسيادة على هذه البلدان (المحررة)، جاءت بصيغة ما كرد فعل على الفكر والنظرية الصهيونية التي تدعي حق الأسبقية التاريخية على تملك فلسطين. مما دفع بالفكر السياسي العربي المعاصر التماهي مع الصهيونية في المنهج والممارسة من هذه الزاوية.

لذلك جاءت معالجة وتناول بعض النخب العربية لدراسة اجتماع ومستقبل البلدان العربية بعد استقلالها عن الحكم العثماني وتحررها من الاستعمار الأوربي مشوهة، لا تتمتع بالشجاعة لإعادة قراءة التاريخ، ولا حتى مقاربة تضاريس الواقع، فتلخص هذا القصور في إنتاج فكر قومي مضاد ومتأثر في الوقت نفسه بالصهيونية السياسية والفكرية، وبالدولة القومية الأوربية الصلبة، بمعنى اعتبار كل الهجرات العربية سلسلة من هجرات أزلية لقبائل تتحرك من أرضها في قلب الجزيرة العربية الى أرضها التي انتظرتها بفارغ الصبر خارج الجزيرة العربية، هذه الأرض التي كانت خالية من البشر، وتنتظر بشوق الفتوحات والهجرات البدوية العربية، في صيغة أقرب إلى الخيال منها إلا أي حقيقة موضوعية.

بناء على هذه الأفكار التي باتت منهجا، بل ثقافة سياسية ومعارف بديهية تتناقلها الأجيال، وقياسا أيضا على الفكر العربي الذي يفسر الحاضر بدلالة الماضي وعبر أحداثه، فكل الشعوب لا بد أن تكون مهاجرة، حيث فكرة الشعوب الأصلية مغيبة، وتم تغييبها عن الذهنية العربية السطحية، فالأكراد لابد أن يكونوا مهاجرين وكذلك الشركس

والأرمن والأمازيغ، فإن لم تكن هذه الشعوب والجماعات مهاجرة، فيجب أن تكون بالضرورة من أصول عربية أو سامية، أو أي تصنيف آخر لا يفصح عن حقائق التاريخ الصادمة.

وعلى اعتبار أن الأراضي خارج الجزيرة العربية وعلى تخومها الجغرافية هي أراضي كانت مطوبة باسم العرب، وإن هجراتهم كانت أبدية تبدأ بستة آلاف سنة قبل الميلاد، ولم تنته إلا بعد الحرب العالمية الثانية، فهي هجرات شرعية لا يحق لأحد اعتبارها حتى (هجرات)، اما هجرات الجماعات الأخرى، فهي افتراضية نتاج العقل الأيديولوجي العروبي في أغلب الأحوال، وإن وجدت فليس لها أي مشروعية، فالمشروعية هي فقط للهجرات الأولى، وحق الحكم والسيادة هو لمن سبق أن هاجر أولا، ونصب خيامه ونشر فرسانه، وسل سيفه، وهكذا...

في السنوات الأخيرة سمعنا وقرأنا الكثير من الترهات بخصوص هجرة الأكراد الى سوريا، بدءا من المتفلسف الأول رئيس الجمهورية، وصولا الى أي مراهق سياسي، مرورا بمنتسبي (المعارضة)، وجميع المتطفلين على التاريخ والسياسة معا. كل هذا التناطح والتناول الجاهل للتاريخ جاء لتبرير مواقفهم المؤازرة للظلم والعدوان، المتهربة من حق المساواة والعدالة، ناسين أن الحقوق لا تستند على بعد تاريخي فقط، فليس بالضرورة أن يكون الفرد من سلالة تسكن سوريا منذ ستة آلاف سنة حتى يكون له حقوق سياسية، بصرف النظر عن الكم الهائل من التناقضات والقراءات المشوهة لتاريخ سوريا والمنطقة.

وحيث أن الجهل وعدم قراءة التاريخ والواقع معا باتت سمة من أبرز سمات النخب السورية، سنذكر من جديد أن الهجرات كانت دائمة في كل أصقاع الأرض وليست في سوريا، كما أن اتجاه هذه الهجرات ومساراتها قد غيبت لأهداف سياسية وعنصرية ودينية صرفه، فالكورد قد هاجروا من أرض سوريا الحالية الى خارجها بعدد هو أضعاف من هاجر من جوارها الى مناطقها الداخلية الحالية. لذلك وفقط سنورد أدناه مثال واحد، نص نادر لمؤرخ كبير وموضوعي، يعد حجة في تاريخ المنطقة، هو شرفخان بدليسي، إذ ورد في كتابة (شرفنامة)، الذي كتبه بالفارسية قبل أكثر من أربعمائة عام، وترجم الى العديد من اللغات منها العربية. يكشف النص أدناه عن هجرة كبرى لقبائل وطوائف كردية من جغرافية غرب محافظة ادلب الحالية الى إقليم في غرب إيران يتاخم الخليج العربي، إلى منطقة لورستان تحديدا. كانت هذه الهجرة الكبرى من محيط جبل السماق شمال غرب محافظة إدلب الحالية وجنوب منطقة عفرين: "وفي خلال سنة 500 هـ / 1106 م نزحت زهاء أربعمائة أسرة كردية من جبل السماق ببلاد الشام إلى لرستان إثر نزاع قام بينهم وبين زعيمهم في موطنهم الأول، فآثروا الجلاء عن الوطن على الاقامة: وهناك دخلوا في رعاية عشائر وقبائل أحفاد محمد خورشيد المذكور" (بدليسي، 1959، ص25)

تم تابع بدليسي سرديته التاريخية مبينا استمرار الهجرات ونزوح (27) طائفة وقبيلة كوردية ابان حكم هزار أسف من غرب سوريا الى لورستان: "فهرع إليه أقوام كردية كثيرة من سكان جبل السماق

للإقامة به وذلك كجماعة العقيلي من نسل عقيل ابن أبي طالب، والهاشمي من سلالة هاشم بن عبد المناف، وطوائف مختلفة مثل: أستركي، مماكويه، بختياري، جوانكي، بدانيان، زامديان، علاني، لوتوند، بتوند، بوازكي، شنوند، راكي، خاكي، هاروني، اشكي، كولي، ليراوي، مولي، بحسفوي، كمانكشي، مماستي، أومكي، توابي، كداوي، مديحة، اكورد، كورلاد، إلى غير ذلك من العشائر والقبائل الأخرى التي لا يعرف لها نسب. فازداد شأن هزار أسف وأخوته بقدوم هذه الجماعات عليهم والتقائهم بهم، إذ قوي جانبهم بهم فهاجموا مقاطعة شولستان" (ص28) هذا وقد توفي هزار أسف سنة 1275 ميلادية. في قراءة أولية لهذا النص نستنتج أن هذه الوثيقة التاريخية تدل أولا على أسبقية الوجود الكردي في شمال غرب سوريا الحالية، وخاصة محافظة إدلب ومنطقة عفرين ولواء إسكندرون، نظرا للعدد الكبير من القبائل والطوائف التي هاجرت منها، وهي كوردية في أغلبيتها الساحقة. فقد كانت هذه المنطقة مولدة وطاردة للسكان الكورد تاريخيا، وليس كما روج له سياسيا بأنهم قد هاجروا إليها. فالأكراد هاجروا من مناطق الشمال وشمال غرب سوريا الحالية والجزيرة الفراتية بأضعاف من قدم اليها في عهود متأخرة. فقد كانت هجرة الكورد من شمال غرب سوريا الى لورستان كبيرة بل هائلة بحسب عدد القبائل والطوائف المذكورة في الشرفنامه. لذلك وبدلالة العديد من المصادر والوثائق الأخرى، فالوجود والجذر التاريخي للكورد في غرب سوريا الحالية وقرب الساحل السوري أقدم من كل التوقعات. وهي ليست كما روجت نتاج الحروب الصليبية، علما أن شرفخان بدليسي قد عد العقيليين أكرادا، وهذه مسألة تدرج ضمن المشتركات،

كما يمكن الافتراض أن المهاجرين من جبل السماق كانوا شيعة أو علويين، وقد تكون الصراعات المذهبية أحد مسببات هذه الهجرة، فالهجرة لم تكن بسبب خلافات قومية بالتأكيد.

أخيرا نود التأكيد من جديد على أن قراءة التاريخ بشكل موضوعي ودقيق من قبل المختصين يجب أن تخدم المشتركات، وتؤسس لمشاريع التعاون والتحالف، وليس كما تعود عليه الصهاينة الجدد لترسيخ العداوات والدعاية للتكنيس الديمغرافي وبناء مجتمعات ودول النقاء القومي والديني، التي لا يمكن أن تستند سوى على الأكاذيب الكبرى. فالانتقال من مشكلات التاريخ الى الحاضر قلما يؤسس للمشتركات، لكن الانتقال من مشتركات الحاضر نحو بناء مستقبل آمن يعد حجر الزاوية في تأسيس الدول الديمقراطية المستقرة.

في هذا العدد من مجلة الحوار سنستمر، وسنحاول أن نقرأ التاريخ بدلالة مشتركات المستقبل، ونفتح صفحات جديدة لحوارات كوردية - عربية جادة، فمستقبل مجتمعاتنا مرهون بالتخلص من الأوهام كما التخلص من الأحقاد.

رئيس التحرير

ملف العدد

الحوار الكوردي – العربي: الضرورات الاجتماعية والسياسية

(القسم الثاني)

١) الأكراد والعرب ..... ابراهيم أحمد

٢) العلاقات الكُردية - العربية قبل الإسلام... د. أحمد خليل

3) ليس بالاضطهاد يُخاطَب الأكراد..... محمد الحسناوي

4)مقدمات في الحوار العربي الكردي في شمال شرق سوريا

رياض درار

5)عن أوهامٍ وأحلامٍ تعيق الحوار الكردي- العربي في سوريا

موفق نيربية

6) المواطن الكلب مدعواً إلى الحوار العربي - الكردي!

إبراهيم العلوش

الأكراد والعرب

بقلم إبراهيم أحمد

يعد الأستاذ إبراهيم أحمد أحد أهم المثقفين والساسة الكورد في القرن العشرين. ولد عام ١٩١٤ بمدينة السليمانية في كورستان العراق. تخرج من كلية القانون بجامعة بغداد عام ١٩٣٧. وقام بنشاط سياسي وتنوري مبكر، فقد أسس منظمة باسم الشباب الكورد (لاوانى كورد) في مدينة بغداد، التي أصدرت مجلة باسم هدية الشباب (ديارى لاوان).

بعد انهيار جمهورية مهاباد ساهم في تأسيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني في إيران، وترأس منظمتها في مدينة السليمانية عام ١٩٤٧، سجن لمدة عام ونصف سنة ١٩٤٨، لينتقل للعمل السري حتى ثورة تموز ١٩٥٨. انتخب عام ١٩٥١ في المؤتمر الثاني للحزب الديمقراطي الكردستاني – العراق سكرتيرا للحزب، وأصبح رئيسا لتحرير جريدة خبات عام ١٩٦١

صاحب امتياز جريدة كردستان، الذي كان يرأس تحريرها الرئيس العراقي الراحل جلال الطالباني. إضافة الى نشاطه السياسي كان قاصا وروائيا، بل شاعرا وصحفيا بارزا... من أهم كتبه، رواية مخاض الشعب (زاني كه ل)، البؤس (كويره وه ري)، ومن أوائل كتبه السياسية: الأكراد والعرب، الذي كتبها ونشرها سنة ١٩٣٧، والتي نعيد نشرها هنا في مجلة الحوار، كونها أحد الخطوات الأولى لمسيرة الحوار والتضامن الكوردي – العربي. توفي إبراهيم أحمد في لندن عام (٢٠٠٠)

×××

بين الأكراد والعرب سلام ووئام

لسنا نقصد من كلمتنا هذه توضيح العلاقات التاريخية التي تربط الأكراد بالعرب إذ أن هذا يحتاج إلى بحث ودرس عميقين لا تتوفر لدينا وسائلهما الآن، وكل مبتغانا هو أن نرد على بعض ما بثه المغرضون من الآراء المسمومة الخاطئة عن نوايا الأكراد وموقفهم من العرب بمناسبة قضية الأسكندرونة.

إذا نظرنا إلى سير العلاقات بين الأكراد والعرب منذ أيام الفتح الإسلامي إلى اليوم نراها على أحسن ما تكون عيها العلاقات بين الشعوب المجاورة من ود وسلام و وئام ولا عجب ، فإن الأكراد قد اعتنقوا الإسلام بإخلاص وتقبلوا مبادئه بكل ما تضمنها من وجوب نسيان الفروق بين مختلف الشعوب المسلمة فشاركوا في بناء المدنية الإسلامية تلك المدنية السامية مساهمة فعلية في كل نواحي نشاطها المتعدد ، فمن يدرس التاريخ الإسلامي يرى بين كبار المؤرخين والشعراء والأدباء والفلاسفة والقادة الكثيرين ممن ينتمون إلى العنصر الكردي وقد خدموا اللغة العربية والثقافة الإسلامية حتى كأنهم فنوا فيها ولم يعودوا يشعرون بأي فارق عنصري أو لغوي وإذا كنت لا تعرف الآن إلا القلائل من هؤلاء فما ذلك إلا لأن الناس في تلك العصور لم يكونوا يهتمون بهذه المسائل و لأن الأكراد في الوقت الحاضر لا يتباهون بما قام به أجدادهم نحو الإسلام ومدنيته من الخدمات الواجبة شأن غيرهم من الشعوب المسلمة.

وهذا الأمر هو وحده ما جعل بعض المؤرخين يغمطون حق الأكراد ويقللون من أثرهم في بناء المدنية الإسلامية. إن الأكراد لم يكتفوا بالمساهمة في الحياة الثقافية للإسلام وإنما قاموا بدور مهم في الدفاع عن كيان الإسلام ومدنيته ضد الهجمات المتوالية التي كانت توجه إليهما من الشرق والغرب وليس بخاف على أحد الدور الذي لعبه البطل الإسلامي الخالد صلاح الدين الأيوبي في محاربته الصليبيين.

إن العلاقات التاريخية لم تتوقف على مساعدة الأكراد للعرب، وإنما العرب أيضا كانوا يساعدون الأكراد ويؤازرونهم، ولكن طبيعة

الخلافة وأوضاع المدنية الإسلامية كانت تحد من مساعدات العرب للأكراد كيفية لا كمية، إذ كان العرب يظهرون مساعدتهم للأكراد وتقديرهم لهم فيما يعاملونهم به من الاحترام وما يكنونه لهم من العطف وما يقدمونه لهم من المساعدات المادية والمعنوية في الملمات.

إن ما أسلفناه من الوصف يطبق على العلاقات الكردية العربية في جميع أدوارها، ولكننا نجعله يخص أدوار الخلافة وزمن ملوك الطوائف لأن انتقال الخلافة إلى الأستانة يدخل في الوسط عاملا آخر.

في نير العثمانيين

لم يستطع السلطان إخضاع الأكراد إلى سلطته كما لم تستطع ذلك أية سلطة أخرى من قبل، فظل الكرد مستقلين في جبالهم لا يتبعون الخليفة إلا اسماً. إن انتقال الخلافة إلى الأستانة قلل من الاتصال المباشر بين الأكراد والعرب، ولكن الكرد ما فتئوا يقومون بواجبهم تجاه المدنية الإسلامية فيمدونها برجال يساعدون العرب ويساهمون معهم في إعادة النشاط إليها وتجديد قواها.

لسنا الآن بصدد بيان الحالة أيام الإمبراطورية العثمانية، ولكن لا بأس من اقتباس قطعة من الرسالة التي بعث بها الأمير مصطفى فاضل (حفيد محمد علي باشا) إلى السلطان عبد العزيز يصف له حالة الدولة وما وصل إليه الشعب من التعاسة والشقاء ويحثه على الإصلاح: ((خلت بلادك من رأي عام فأصبح عمالك غير مسؤولين أمام رعيتك، واستباحوا كل منكر وصار الناس طائفتين حاكم يظلم ولا من يردع ومحكوم يُظلم ولا من شفيع، حاكم يدعي أن سلطانه من

سلطانك لاحد ولا قيد ويتذرع بذلك في النقائص والمعاصي ومحكوم يهوى إلى حضيض الذل بما يُساء إليه ولذا تولى اليأس الرعايا وأنوا تحت أحمال المظالم وهم صامتون وفات الأوان)).

إذ كانت الرأسمالية الغربية في أوج عظمتها آنذاك فكانت تريد وقوداً لمصانعها وأسواقاً لبضائعها ومحلاتٍ لاستثمار رؤوس أموالها الوافرة وكانت تجد كل ذلك سهل المنال في بلاد الرجل المريض. لقد كان التنافس بين الدول الرأسمالية قد وصل أشده وكان العالم يجمع الوقود للحرب العالمية عندما كانت مبادئ الثورة الفرنسية ثورة ١٧٨٩ في بدء انتشارها بين الشعوب العثمانية، لم تكن الحركة التحريرية قاصرة على بعض العناصر دون غيرها لأن استبداد حكومة الباب العالي لم يكن مقصوراً على عنصر دون آخر وإنما كان شاملاً بقية العناصر العثمانية أيضاً وكان الشبان الترك الذين تلقوا روح الثقافة الغربية وتشبعوا بروح الحرية و الإخاء والمساواة لا يطيقون الصبر على هذا الجور فوطدوا العزم على قلب نظام الحكم وتعاونوا مع العناصر العثمانية غير الترك "القضية السورية ـ صفحة٤٥" فنجحت حركة سنة ١٩٠٨ الانقلابية بمؤازرة كافة العناصر العثمانية وقابل الناس الدستور الجديد بحماس شديد. ثم افتتح مجلس المبعوثان العثماني وجاء مندوبو مختلف العناصر العثمانية لتربع كراسي النيابة. جاؤوا وملؤهم الأمل للتعاون مع أحرار الأتراك لمحو ما أفسده النظام الاستبدادي القديم وإشادة حكومة دستورية عادلة لا تفرق بين عنصر وآخر من مختلف عناصرها " ثورة العرب لأسعد داغر صفحة ٤٩".

ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث. لأن الشبان الأتراك قد أسكرهم فوزهم على خصومهم من رجال العهد الحميدي وذهبوا إلى غاية أبعد من الدستور وإعلان المساواة بين مختلف العناصر. تلك هي الأخذ بالقومية التركية ووجوب سيادتها على بقية العناصر العثمانية في إدارة دفة الحكم فقد كان هؤلاء الاتحاديون قد شهدوا ما حدث في أوربا من الحركات القومية وتشبعوا بروح العصبية الجنسية.

عندما اتفق الاتحاديون مع العناصر العثمانية من غير الترك ولاسيما العرب وتعاونت هذه العناصر على قلب نظام الحكم أملاً بالحرية والمساواة كان موقف رجال تركيا الفتاة دقيقاً ودقيقاً جداً يتطلب شيئاً كثيراً من المرونة والحنكة السياسية تجاه هذه العناصر فقد كان هذا الظرف فرصة سانحة للاتحاديين لتوثيق عرى هذا الاتفاق وألا يدعو للقوة مجالاً بينهم وبين هذه العناصر وقد جاء مندوبو العناصر العثمانية المختلفة ولم يكن يدور في خلدهم الانفصال عن جسم الدولة، غير أن شباب الترك المتحمسين لم يقفوا تجاه العرب وبقية العناصر موقف الند للند كما كان يُنتظر هؤلاء بل وقفوا موقف من بيده السلطة ويريد أن يقبض على زمام الأمور السياسية والإدارية وأن يكون سيداً مطاعاً أضف إلى أن هؤلاء الاتحاديين عمدوا إلى القوة في سياستهم فشرعوا في عقد القروض الخارجية وإنفاقها على الجيش لضرب العناصر العثمانية من غير الترك إن بدا منها حراكاً ـ عن القضية السورية ـ وعهدوا إلى تنفيذ سياسة التتريك والقضاء على كل نأمة عنصرية وإنشاء امبراطورية طورانية تحيي مجد جنكيز خان و تيمورلنك وتعيد عهد الذئب الأغبر ـ ثورة العرب الكبرى ص٣٢٢ ـ

وقد ألف الكاتب الكردي جلال نوري كتابا سماه "تاريخ المستقبل" قال فيه: ((يجب على الحكومة أن تُكرِه السوريين على ترك أوطانهم وأن تحول اليمن والحجاز إلى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين، ومما لا مندوحة عنه للدفاع عن كياننا أن نحول جميع الأقطار العربية إلى أقطار تركية لأن النشء العربي الحديث صار يشعر بعصبية جنسية وهو يهددنا بنكبة عظيمة يجب أن نحتاط له ـ ثورة العرب الكبرى ص ٥٦ ـ

تلك هي السياسة التي سار عليها الاتحاديون تجاه العرب والكرد وغيرهم من العناصر العثمانية التي ساعدتهم في تسنم زمام الحكم وبهذه الطريقة كافأ هؤلاء القوم أنصارهم ومؤيديهم من الشعوب غير التركية.

فلما وجدت هذه العناصر أن ما كانت نفوسهم تصبوا إليه أصبح حلماً بعيد المنال ولا يمكن التفاهم مع الأتراك وطدوا العزم على توطيد الجمعيات الوطنية للنضال في سبيل حقوقهم المهضومة والمغتصبة فتأسست الجمعيات والنوادي القومية للمطالبة بحقوقهم والسعي وراء تحقيق مطالبهم القومية بالطرق السلمية المشروعة ضمن حدود القوانين وقد تألف بمساعي نواب العرب والكرد والأرمن والألبان *حزب الائتلاف* الذي كان القصد منه الجمع بين العناصر العثمانية المختلفة تحت شعار الأخوة والحرية والعدالة والمساواة ومناوأة الاتحاديين في سياستهم القومية الهوجاء.

كانت العلاقات بين الكرد والعرب في هذا الدور على أتم ما يكون من الود و الإخاء بل مما زاد في هذه العلاقات متانة على متانتها هو دخول عامل آخر في الوسط وهو التعاون والتآزر في محاربة العدو المشترك ووحدة الهدف والغاية إذ كل يريد تحرير شعبه من نير الأجنبي ويسعى إلى سعادة شعبه ووطنه ولذا كثيراً ما حدث أن دخل شاب كردي الجمعيات العربية ويسعى لحرير العرب كما يسعى إلى ذلك العربي.

في الحرب العالمية

اندلعت نيران الحرب العالمية وكان العرب قد ملوا وعود الأتراك وتسويفاتهم وضاقوا بمظالمهم واستبدادهم ذرعا، فدخلوا الحرب إلى جانب الحلفاء سعياً وراء تحقيق استقلالهم الذي وعدهم الحلفاء بإعطائه إياهم، والبدء بتقسيم البلاد العربية إلى بلاد منتدبة ومناطق للنفوذ وغير ذلك من الحوادث التي يعرفها القراء.

أما موقف الأكراد تجاه الترك في الحرب العامة فكان مختلفاً عن موقف العرب، وذلك لحسن ظنهم الخاطئ في الحكومة العثمانية، واعتمادهم على وعودها الخلابة، وتعلقهم الزائد بالخلافة وتأثرهم بالدعاية الدينية التي كانت الحكومة تبثها بينهم آنذاك، فوقفوا بجانبها طيلة سني الحرب ولم يهتموا بالدعايات التي كان يبثها الحلفاء، ولا ركنوا إلى تحذير بعض الوطنيين الأكراد الذين كانوا قد عرفوا نوايا الحكومة التركية السيئة. ولذا نراهم مخلصين ليس في الدفاع عن

الخلافة فقط، بل وفي الذود عن الأناضول ضد هجمات اليونان. يشير سليمان نظيف إلى دور الأكراد في الدفاع عن تركيا ومساهمتهم في معركة (سقاريا) الشهيرة بقوله في خطابه يوم تأبين الجندي المجهول ((أغلب الظن أن هذا الجندي هو جندي كردي)).

طُرِد اليونانيون من البلاد ولم يبق أي خطر خارجي يهددها فبدأ الأكراد يطالبون الحكومة التركية بإيفاء ما وعدت وما كان ما وعدت به استقلالاً أو انفصالاً، وإنما كان حقوقا طبيعية ضرورية لتفاهم الشعبين و تعاونهما، أراد الكرد أن يكونوا مع الترك على قدم المساواة فردت الحكومة التركية على هذا الطلب المشروع بسياسة عوجاء قد برهنت التجارب على سقمها وفسادها، ألا وهي سياسة ((التتريك)) التي مشى عليها الاتحاديون من قبل، مما أغار عليهم صدور الشعوب العثمانية الأخرى وسبب العداء والشقاق بين عناصر الدولة الواحدة، ولا حاجة إلى إيضاح هذه السياسة البغيضة فالعرب قد ذاقوا من مرارتها الشيء الكثير.

دور الثورات

يئس الكرد من إمكان الحصول على شيء من الحكومة التركية بالطرق المشروعة وسئموا معاملتها القاسية، فضاقت بهم السبل فركنوا إلى الثورة ملجأ الشعوب المضطهدة، ووليدة الإرهاق، وحاملة علم الحرية والانعتاق المغموس بالدماء.

ثار الكرد علهم ينالون بالقوة ما لم ينالوه بالطرق المشروعة والتوسلات والمفاوضات. ولكن أنى للحق الأعزل أن يقاوم القوة الغاشمة! ومع ذلك فلولا مساعدات الدول للحكومة التركية بتضييقها الخناق على الثوار وإسدائها المساعدات المادية والمعنوية إلى الحكومة، واستعمال جميع هذه الوسائل مهما كانت قاسية ووحشية للقضاء على ثورة الأكراد التحريرية... نعم لولا هذه الظروف القاسية لكان للأكراد من إيمانهم بحقهم المشروع واستبسالهم في جهادهم قوةٌ هائلةٌ تكفي لانتصارهم ...

ولكي نظهر للقارئ الأعمال الوحشية التي ارتكبتها الحكومة التركية في قمعها لهاتيك الثورات، نقتبس فقرات من كتاب (أتاتورك) المطبوع بالعربية حديثاً وبذلك ننقذ أنفسنا من تهمة التحيز والتشيع، إذ أن الكتاب المذكور نشر دعاية للحكومة التركية بين الناطقين بالضاد.

يقول الكاتب:

((أي والله لقد اندحر الأكراد وكان القضاء عليهم مبرماً رهيباً! الطائرات تصب عليهم من السماء دماراً والمدافع من فوهاتها ترسل حمماً، والبنادق ترسل ناراً والسيف يحز الرؤوس، والخناجر تبقر البطون وأربعون ألفاً من الجنود ألهبهم كمال بخطبة نارية يقفزون في بلاد الكرد من رابية إلى قمة، ثم إلى الوهاد ينحدرون والناس يقتلون، والقرى يحرقون ... وتشرق شمس ٢٨ يونيو ١٩٢٥ على مشانق تتدلى منها حبال تتأرجح بجثث خمسة وأربعين زعيما من زعماء الأكراد ...

وأخيرا ها هو زعيمهم الأكبر الشيخ سعيد يتقدم إلى المشنقة مبتسماً. (صفحة ١٤٤)

يا له من منظر رائع! ويا لها من بطولة خالدة! كيف لا يحمر وجه القرطاس خجلاً إذ تسجل عليه هذه الجرائم والفظاعات...

يا لها من مفخرة! أتراهم كيف يفتخرون بحرق القرى الآمنة وبقر البطون الحابلة وحز الرؤوس البريئة ولكن لا بأس فلابد للاستقلال من ضحايا.

أنين المظلوم وضجيج الظالم

لم تقتصر أعمال الحكومة التركية تجاه الثورات الكردية على هذه الفظاعة والوحشية، وإنما حاولت جهدها تشويه حقائق الثورة وتلويث مصادرها وإلباسها ثوب الرجعية في نظر العالم الخارجي. فكانت تنعت الثوار بالعصابات والعصاة والدراويش والثورة بمشاغبات الرجعية لقلب الحكومة المدنية وإرجاع الخلافة وكانت تنسب الثورة إلى الدعايات والأموال الأجنبية والذهب الإنكليزي وغير ذلك من النعوت.

إننا لا نكلف أنفسنا الرد على هذه المزاعم التي ردت الأيام عليه أحسن رد ولكننا نتساءل: ألم تنعت السلطات الثائر في جميع الأزمان بالشقي المتمرد والمجرم السفاك؟

ألم تكن جميع الحركات التحررية في نظر الحاكمين حركات هدامة ورجعية ومؤامرات دنيئة سافلة؟

وأية قوة استبدادية عزت الثورة على طغيانها إلى غير الدسائس الأجنبية والأيادي الخفية التي تعمل من وراء ستار؟

وهم أنفسهم قادة الحركة التحريرية التركية الذين دافعوا عن بلادهم وحقوقهم ضد المعتدي الأجنبي زعماء الحكومة التركية الاستعمارية اليوم.

ألم يقل العدو إنهم أشقياء متمردون؟ ألم يحكم الخليفة على مصطفى كمال بالإعدام لتمرده؟

ألم تنعت الصحف الاستعمارية حركتهم بحركة سلب ونهب وزعيمهم بزعيم عصابة من اللصوص؟

ألم تكن الدول الاستعمارية ترجع سبب حركتهم الاستقلالية إلى الدسائس الأجنبية؟ وتقول: إنهم إنما يعملون لحساب دولة أجنبية تعينهم بالمال وتمدهم بالعتاد؟

ثورة رجعية؟!

يقولون: إن ثورات الأكراد كانت دائما ثورات دينية رجعية ترمي إلى إرجاع الخلافة وعهد الدراويش. ونحن نقول: ألم تكن ثورة مصطفى كمال في بادئ أمرها حركة دينية لطرد الكفار من ديار الإسلام وإنقاذ الخليفة من أسر الكفرة؟ أليس هو الذي كان يقول للناس في أرضروم:

إنه نائب الخليفة وممثله جاء يحض الناس على إعلان الحرب الدينية والجهاد المقدس (فثوروا لكرامتكم ودافعوا عن عرينكم وعن دينكم وعن أعراضكم الملوثة وتطوعوا في الجيش الأهلي لتقهروا أعداءكم وأعداء الإسلام). ثم اسمع كيف يختم خطابا ألقاه على أعضاء المؤتمر في سيواس في بدء حركته وفي الختام أبتهل إلى الله واهب الآمال، الذي لم ينس أمتنا التي دافعت عن هذا الوطن المبارك، وهذا الدين الأحمدي الجليل- وستدافع عنهما إلى يوم القيامة – والذي لم ينس جل شأنه مقام الخليفة والسلطنة، أبتهل إليه أن يدفع بنا إلى النصر والتوفيق بعد أن أخذنا على عاتقنا الدفاع عن حقوقنا المغصوبة المقدسة – آمين – *كمال أتاتورك ص ٧٢*

فهل كان الشيخ سعيد زعيم حركة الدروايش وقائد الثورة الرجعية! أكثر اعتماداً على شعور الناس الديني وأعظم استغلالاً له من مصطفى كمال زعيم الحركة الاستقلالية وقائد الثورة العلمانية!؟ وهل كان مصطفى كمال يدافع عن الدين والخلافة معاً؟ أم كان يستعملها وسيلة لبلوغ مآربه التحريرية؟ إذا كان هذا هو الواقع فلم لا يستطيعون الاعتقاد بأن زعماء الثورة الكردية أيضاً، إذا كانوا قد أثاروا شعور الناس الديني، فهم إنما صنعوا ذلك لاستمالة الجماهير إلى جانبهم في كفاحهم في سبيل ((الدفاع عن حقوقهم المغصوبة المقدسة؟)). لماذا لا يستطيعون فهم ذلك وقد أيدته نتائج محاكمات زعماء الثورة، والطرق التي سلكتها الحكومة في قمعها للثورات، إذ كانت تقضي على كل شيء كردي لا على كل شيء رجعي؟ ثم إذا كانت الثورات رجعية ودينية، فلم ينفرد الأكراد بالدفاع عن الرجعية

وعن الدين!؟ أليس بين الترك متدين يناصر الخليفة؟ وكيف تكون الثورات استقلالية ورجعية ودينية في آن واحد؟[١]

كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن تلك الثورات لم تكن من الرجعية في شيء اللهم إلا إذا اعتبرت مطالبة الشعب بحقوقه رجعية.. ولا يخفى على متفرج منصف أن تلك الثورات كانت من الثورات التحريرية المقدسة التي تقوم بها الشعوب المستعبدة للانعتاق من نير أسيادها.

إن أعمال الحكومة التركية تجاه حركة الأكراد التحريرية ترينا بصورة واضحة إحدى مناقضات القومية بمعناها الضيق إذ نرى الأمة التي تعتمد في كفاحها ضد الاستعمار على نظريات حق تقرير المصير وتتمسك بحق السيادة الشعبية، وضرورة حكم القوم نفسه بنفسه، إذا انتصرت لا تعود تعترف بقدسية حق من هذه الحقوق لغيرها من الشعوب، بل نراها تطارد الاحرار وتحكم على المتمسكين بهذه المبادئ من غير أمتها بالنفي والسجن والاعدام والتشريد، متناسية إنها كانت ولا تزال تعتمد على هذه القواعد الأساسية في تأييد سيادتها ودفاعها عن كيانها.

الاستعمار يحرر

لم تكتف الحكومة التركية بنعت الثورة الكردية بالثورة الرجعية وإنما ذهبت إلى أبعد من ذلك فقالت إن الإنكليز كانوا يمدون الأكراد بالأموال والعتاد! يا لها من دعاية سخيفة وكذب صراح!

---

[١] قرار المحاكم الاستقلالية في وقته في أعداد من جريدة الوقت التركية

إن الأكراد الذين تزعم الحكومة التركية أنهم ساروا على الحكومة الكمالية لنصرة الدين ومحاربة البدع واسترجاع الخلافة بدأوا الآن يتقربون من الدول الأجنبية ويستنجدون بالكفار للبلوغ إلى مآربهم الإسلامية ولا ندري بأي عقل يتوصل هؤلاء إلى الجمع بين الثورة الدينية والاستعانة بالإنكليز...

كل شيء جائز في عرف السياسة! ولكن هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. إلا ان هذا رأي في السياسة جديد أن نرى إنكلترا أعظم دولة استعمارية على وجه البسيطة (لاحظ تاريخ الثورة الكردية) تتقدم لتأخذ بيد شعب مستعبد مظلوم. إنكلترا التي يئن في نير استعمارها مئات الملايين من البشر تأتي لمناصرة الأكراد وتمونهم بالمال والعتاد!!

يقول الكاتب الألماني داجو برت في كتابه المترجم إلى العربية بعنوان (مصطفى كمال المثل الأعلى): ((ومن المؤكد أن الأيدي الشيوعية كانت من وراء ستار، وزادت الاضطرابات إلى حد خطر في الأقاليم الشرقية، ولكن حركتهم قد قمعت بلا رأفة ونشطت المحاكم الثورية فحكمت على عدد كبير في أرضروم وطرابزون وغيرهما بالشنق أو بالسجن – ص ٣٦٥- إلا أن هذا رأي جديد في أسباب ثورات الأكراد الرجعية!!) لنبتعد الآن عن تفنيد هذا الافتراء الذي لا يقوم على دليل من الواقع ولا المنطق ونتساءل: من الذي أرغم الأكراد على الاستعانة بالأجانب -إذا كانوا قد استعانوا بأحد- أليس هو جور الجيران والأقارب واضطهادهم وعدم اعترافهم لهم بحق الحياة؟ ثم أي شعب لم يعتمد على المساعدات الخارجية في كفاحه ضد

مستعمريه؟ ألم تعتمد حركة الأتراك الاستقلالية ذاتها على مساعدة روسيا التي كانت العامل المهم في انتصارها. هذا على فرض أن الأكراد كانوا قد استعانوا بالأجانب ولكن لم يقم دليل على صحة هذا الفرض فهل يمكن إخماد تلك الثورات الهائلة الدامية لو كان وراءها الذهب الإنكليزي والأسلحة الإنكليزية كما يقولون؟ أو هل كان يمكن قمعها لو لم تتعاون الدول بما فيها إنكلترا على إخماد نارها. إننا لا ننكر أن المستعمر يحسن الاصطياد في الماء العكر وأن الحكومة الإنكليزية ربما كانت ترغب في مثل هذه الثورات الى حد ما، وربما كان لها فيها جواسيس وعيون، ربما كان بين زعماء الحركة بعض مريدي الإنكليز وأتباعهم ولكن كل ذلك لا يعارض الحقيقة الواقعة وهي أن الجماهير الكردية كانت تضحي بكل ما لديها من نفس ونفيس وتجابه الآلات الجهنمية بتلك البطولة الخارقة والجرأة النادرة دفاعا عن كيانها المهدد وحقوقها المغصوبة وليس لتأمين المصالح الإنكليزية أو الفرنسية كما يزعمون.

ونقول في هذا الصدد: إن أكثر زعماء الثورات الكردية كانوا رجالا مخلصين في دعوتهم لم يريدوا الجاه ولم ينخدعوا بأية دعاية وكانت حركتهم تستمد قوتها من الجماهير الكردية. ومن اضطهاد الحكومة التركية، ولم تكن لهم أية صلة بأية دولة أجنبية وما كانوا قد أضرموا نيران الثورة راضين، وإنما أُرغموا على ذلك بما لاقوه من سوء معاملة الحكومة التركية وغمطها لحقوق الأكراد وعدم سماعها لشكاواهم الحقة وتماديها في سياستها القاسية تجاه العناصر غير التركية.

العرب يؤيدون الكرد

إن علاقات العرب بالكرد في دور المحنة هذه كانت كعلاقتهم بهم في الأدوار السابقة، تآزر قلبي. وعطف متبادل، وشعور عميق بالروابط التاريخية والثقافية.

وقد ناصر العرب الأكراد في هذا الدور كما كان منتظراً منهم فكانوا يظهرون عطفهم على القضية الكردية ويؤيدونهم في مطالبهم المشروعة وكانت الصحافة العربية تدعو الحكومة التركية إلى الرجوع إلى جادة الحق والصواب وسلوك طريق التفاهم والتعاون وذلك حقناً للدماء وحفظاً للحقوق التاريخية بين الشعبين المسلمين المتجاورين، وللضرب على أيدي المستعمرين المستفيدين من تطاحن الأمم الضعيفة فيما بينها، بغية تأسيس جبهة شرقية متحدة ضد الاستعمار ((مجلة الشرق الأدنى)). ولكن هذه الدعوات المخلصة الصادقة لم تجد من زعماء الحكومة التركية آذاناً صاغية إذ كيف يسمعون نصح العرب وهم يبذلون الجهود الجبارة لإرغام الشعب التركي على بغض العرب وكره ثقافتهم وازدراء دينهم، وكانت صحفهم تشن الحملات الشعواء على الثقافة الإسلامية والعنصر العربي لا لسبب إلا لأن الشعب العربي كان قد استيقظ وثار ضد طغيانهم ولم يعد يستطيع مشاهدة جثث أبنائه المدلاة على حبال المشانق.

نعم كان الشعب العربي قد سقى شجرة الحرية من دم المهج مما يكفي لإنمائها فأراد أن يقتطف الثمرة.

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة تدق

لم تقتصر مساعدة العرب للأكراد في هذا الدور على الرغبة في التوفيق بين الأكراد وزعماء الحكومة التركية، بل تجاوزت إلى الدفاع عن الأكراد وقضيتهم ورد مزاعم الحكومة التركية وتفنيد افتراءاتها. ولا يمكن تقدير أهمية هذه المساعدة إلا إذا عرفت أن الشعب الكردي كان يقارع الاستعمار ـ المسلح بجميع آلات الحرب الجهنمية، والمجهز بأحدث وسائل الدعاية العصرية ـ وهو أعزل تقريباً. ضرب عليه العدو نطاقاً من الرقابة لا يستطيع معه إيصال صوت شكواه إلى العالم الخارجي وأنى للعالم الخارجي أن يسمع أنين شعب مضطهد وقد ملأ المستعمر الظالم العالم صياحاً وضجيجاً ودعاية وكذباً!

لقد أسدت الصحافة العربية إلى الكرد جميلاً يذكرونه لها أبد الدهر. قد يقال إن ما قام به العرب نحو الكرد ما هو إلا إحدى الواجبات المترتبة على الشعوب المضطَهدة المناضلة في سبيل تحررها، نعم قد يقال ذلك وهذا هو الصواب ولكن أين هم الذين يقومون بهذا الواجب؟

أقرأ الفقرة الأتية المقتبسة من مجلة (الطائف المصورة): بعنوان:

الأكراد يثورون مرة أخرى في سبيل استقلالهم

((.. إن أمر الثورة الكردية قد استفحل في تركيا من جديد فاضطرت حكومة أنقرة أن تجرد الجيوش الجرارة لمقاتلة الأكراد في معاقلهم الجبلية. والشعب الكردي شعب قوي ذو بأس وصولة ينزع إلى

الحرية والاستقلال وقد ثار مراراً كثيرة في عهد السلطان عبد الحميد وثار ثورته الأخيرة سنة ١٩٢٥ ولكن جيوش أنقرة تمكنت من قمع تلك الثورة... ونشط الأكراد ثانية للمطالبة بحقوقهم وشاع أن للكولونيل لورانس الإنكليزي يداً في إشعال نار هذه الثورة وأنه موجود مع الأكراد الثائرين ينظم حركاتهم على أن المصادر الرسمية كذبت هذه الإشاعة.

هذا هو المثال لما يجب أن يكون موقف الشعوب تجاه كفاح غيرها التحرري. انتهينا الآن من بيان موجز لما كانت عليه العلاقات بين الشعبين العربي والكردي منذ البداية إلى اليوم وإننا نعترف أن البحث ناقص في كثير من نواحيه نقصاً بارزاً، ولكن ضيق المجال، واستعجال الأمر وشرف الغاية جعلنا نصرف النظر عن إكمال هذه النواقص. ولا سيما ونحن لا نريد تأليف كتاب عن العلاقات المتشابكة والصلات المتداخلة التي تربط هذين الشعبين العريقين وإنما قصدنا الآن إلى بحث موجز عن ماضي هذه العلاقات بغية تنظيمها وتقويتها للاستفادة منها في المستقبل.

لا عداء بين الشعوب

قبل أن نبدأ ببيان رأينا حول تنظيم العلاقات الكردية العربية يجب أن ننبه القراء إلى ما قد يقعون فيه من الخطأ. قد يظن البعض من قراءته لما سبق وصفه من الحوادث أننا نضمر الشر للشعب التركي النبيل ونريد معاداته، ولكن حاشا أن نكون في هذه الدركة من الجهل والضلال، وحاشا للتعصب الأعمى أن يسوقنا إلى هذا الرأي

الخاطئ. فما الحوادث القاسية التي سبق ذكرها إلا نضال شعب مضطهد ضد حكومة جائرة لا تعترف له بحق الحياة، أما الشعب التركي النبيل الذي تربطنا وإياه روابط تاريخية وثقافية وشيجة والذي تقام كل هذه المظالم باسمه وتحت ستار مصالحه! فلا يتحمل في نظرنا أكثر من مسؤولية الحبل في حادثة الشنق، وإننا نتألم لما وصلته حالته من البؤس والشقاء في ظل الدكتاتورية الكمالية جد التألم ونكن له كل عطف وإخلاص ونتمنى له الخير والسعادة، لأننا نعتقد تمام الاعتقاد بأن الشعب الذي يستعمل الحكام الظالمون اسمه ومصالحه ستاراً لمظالمهم، هو أدعى إلى الرحمة وأجدر بالشفقة من الشعب المظلوم، ونعتقد أيضا، بأنه ليس في صالح الشعب التركي بشيء معاداة الكرد أو العرب أو أي شعب من الشعوب.. وأي فائدة تجنيها الجماهير التركية من التنكيل بالشعب الكردي وحرق مئات القرى والبلدان بسكانها الآمنين، وقتل آلاف الأبرياء، وإجبار عشرات الألوف من الأكراد على الهجرة وترك الأوطان إلى أقاصي البلاد التركية حفاة عراة في زمهرير الشتاء وفصل الثلوج الجارفة، لا لسبب إلا لأنهم لم يروا داعياً لتبديل لغتهم الأصلية وإنكار عنصرهم وترك ثقافتهم فقاموا يدافعون عن الحقوق المقدسة التي ساعدوا الأتراك في الدفاع عنها.

ثم أليس أجدر وأنفع للشعبين التركي والكردي وللإنسانية جمعاء أن يعيش هذان الشعبان في سلام ووئام، كما عاشا طيلة قرون عديدة؟ نعم إن من مصالح الشعبين أن يتفاهما ويتصالحا ويقر كل منهما لصاحبه بما يريده لنفسه من الحقوق فيتعاونا في إعلاء شأن الوطن

وإسعاد الشعبين. أجل إن هذا هو الصراط السوي، ولكن الذين تعلقوا بحبال الآمال والمطامع الاستعمارية، ومشوا وراء تطبيق النظريات السقيمة البالية، المستغلون للوضع والمستفيدون منه العائشون من ورائه لا يريدون هذا الحل ولا يقبلون عن سياستهم القومية الهوجاء بديلاً إذ يستحيل عليهم التفكير في غير نطاق الاستعمار والاستغلال فيتمسكون به ويقصدونه في جميع تصرفاتهم تجاه طبقات شعبهم وتجاه الشعوب الأخرى، تلك هي القومية بمعناها القديم وفي نطاقها الضيق. ولكنك هل تظن أن هذه الأفكار البالية هي وليدة تفكير الشعب التركي؟ وهل أن الدعايات السيئة ضد كل ما هو شرقي وما ينسب إلى الشرق عامة والعرب والإسلام خاصة غيَّرت رأي الشعب في العرب والإسلام؟ هل تظن أن ما تبذره الحكومة من بذور البغضاء والكراهية بين الشعوب يجد بيئة صالحة في أذهان الجماهير التركية؟ إن هذا هو الغلط بعينه فالجماهير لا تعتقد ولا تستطيع أن تتصور الفوارق العنصرية والميزات الجنسية التي تخلقها عقلية هؤلاء الحكام، إنها لا تستطيع فهم نظريات العداء المتوارث بين الشعوب وتفريق الأجناس إلى منحطة وراقية وتقسيم الدماء إلى نقية وغير نقية. أجل لا تفقه الجماهير مدلول هذه الكلمات السحرية التي إن هي إلا مخدرات جديدة تستعمل لاستغلال الشعوب واستثمارها، إنها لا تعلم عن هذه التعابير شيئاً حتى ولو حفظها عن ظهر قلب بنتيجة التلقين المستمر والدعاية الدائمية.

تآخي الكرد والعرب

لنأت إلى بيان كيفية تنظيم العلاقات الكردية ـ العربية في المستقبل، تكلمنا سابقا عن الروابط التاريخية والثقافية والجوارية التي تصل ما بين الكرد والعرب وعلمنا أن العلاقات بين هذين الشعبين كانت ودية للغاية في جميع أدوارها والآن اعتماداً على ما كنا قد بيناه في الماضي من العلاقات وما يجمعنا في المستقبل من وحدة الهدف والغاية علينا تنظيم جهودنا بصورة تأتي بأحسن الثمار في صالح الشعبين المتآخيين.

إن الشعب الكردي. كالشعب العربي، شعب مجزأ الأوصال مشتت الكلمة، وهو كالعربي يناضل في سبيل حقوقه المقدسة. ويسعى للتعاون والتفاهم مع الشعوب لكي ينال نصيبه من الحياة والحرية حتى يستطيع أن يساهم في بناء المدنية العالمية، كما قد ساهم في بناء المدنية الإسلامية في السابق. إن الكرد كالعرب يسعون وراء غاية شريفة يسعى إليها كل إنسان ذي مروءة وشرف. وإن الثورات الكردية كالثورات العربية وليدة شعور عام لأمة حية اقتحمت الأهوال وركبت الأخطار لتحيا حياة حرة سعيدة أو تموت موتاً خالداً إننا نريد أن نعامل على قدم المساواة. لا نريد أن نكون أسياداً ولا عبيداَ

لا نريد أن نكون تحت مستوى الشعوب ولا فوق مستواها وإنما نريد أن نعمل معها في سبيل الإنسانية وإسعادها، إننا نناضل لكي نستبدل الحرب بيننا وبين حكامنا بالسلم على قدم المساواة وحتى يحل الحب والوئام محل الحقد والكراهية في القلب.

إن الأكراد كإخوانهم العرب يريدون الانعتاق من قيود الذل والعبودية. يريدون الاحتفاظ بلغتهم وثقافتهم وعنصرهم لأن هذا الاحتفاظ لا يضر بمصلحة شعب من الشعوب بل يُفيده وينفعه لأننا نعتقد أن مصلحة الشعوب، هي واحدة في كل حال ولذا فعليها أن تتعاون فيما بينهما في سبيل الوصول إلى أهدافها المشتركة، فالأكراد أصدقاء العرب وشركاؤهم في المحنة، كلاهما يشكو داء واحداً وكلاهما يتطلب علاجاً واحداً ... إذاً فنحن رفاق في طريقنا إلى الانعتاق ... فلنتكاتف ولنتفاهم ونتآزر أكثر مما نحن الآن ... فليتآخ الشعبان الكردي والعربي ولنعمل لذلك بكل ما لدينا من قوة ولننظم جهودنا لمقارعة الاستعمار مهما كان نوعه وشكله ولنكافح في سبيل أهدافنا المشتركة.

التعصب القومي الأعمى

وقبل أن نبين القاعدة التي نقترحها لتكون أساساً لتعاون الشعبين الكردي والعربي يجب أن نحذر الشعبين، وخاصة المتنورين منهما - عاقبة التعصب القومي الأعمى، نقول للمتنورين خاصة لأن الجماهير، كما أسلفنا، لا تدرك من هذه الخيالات شيئاً. أجل فإن على المثقفين، من كرد وعرب. ليس تجنب التعصب القومي والعنصري الأعمى فقط، بل ومحاربة نظرياتها الهدامة التي يبثها المغرضون للتفريق ما بين أبناء القطر الواحد ومعاداة الشعوب الأخرى لا لأن هذه النظريات لا تقوم على أساس من العلم والعقل فحسب، بل لأنها من الأسباب المهمة في بث روح الكراهية بين الشعوب وإثارة الحروب والقلاقل فيما بينها. علينا مكافحة هذه الآراء العنصرية

السقيمة، بصورة خاصة في الوقت الحاضر، لأن هناك دولاً استعمارية تخدر بها شعوبها وتسوقها إلى الحرب والاستعمار من جهة، ويضعف بها وحدة الشعوب الضعيفة وتكاتفها في صد الاستعمار من جهة ثانية.

وفي الختام ندعو الشعبين العربي والكردي إلى التعاون والتآخي والسير معاً في مقارعة الاستعمار والاستغلال فهما رفاق في طريقهما إلى التحرر.

القاعدة الذهبية

أما القاعدة الأساسية التي يجب أن تبنى عليها العلاقات ليس بين الشعبين الكردي والعربي فحسب، بل بين الشعوب الأرض قاطبة، والتي بدونها يكون السلام العالمي، وتآخي الشعوب وتعاونها، تعابير جوفاء سخيفة هي اعتراف كل شعب للآخر بحقه في الاستقلال استقلالاً فعلياً لا صورياً، ضمن حدود الطبيعية، وبسيادته التامة في إدارة جميع شؤونه الخاصة والعامة، وتنظيم العلاقات بين الشعوب تنظيماً اختيارياً يكون القصد منه التعاون فيما يعود بالخير والسعادة على الإنسانية، كل ذلك على أساس من الحرية والمساواة، وتقديم الشعب الواحد للآخر جميع المساعدات المستطاعة لتحسين حالته الاقتصادية وتنمية ثقافته الخاصة، حتى يستطيع المساهمة في إشادة صرح المدنية العالمية، وتحقيق الديمقراطية الشاملة.

العلاقات الكُردية العربية قبل الإسلام

د. أحمد خليل ـ باحث وأكاديمي كردي من عفرين

مدخـــل:

بعد سقوط مملكة ميديا سنة ٥٥٠ ق.م، أصبح الكُرد تابعين للفرس، ثم للإسكندر المكدوني والدولة السُّلوقية من سنة ٣٣٠ ق.م، ثم للدولة الأشكانية من سنة ٢٥٠ ق.م، ثم للدولة الساسانية من سنة ٢٢٦ م، وكانت مناطق شمال وغرب كُردستان تقع أحياناً تحت سلطة الأرمن والرومان، وعند ظهور الإسلام كان ثلثا كُردستان تقريباً تابعاً للدولة الساسانية، وكان الثلث الباقي تابعاً للدولة البيزنطية (الرومية)، وكانت نِصيبين أهم مركز عسكري ولوجستي للروم، وكان الصراع بين الفرس والروم يدور على الغالب في الأراضي الكُردية الفاصلة بين الدولتين.

والمعروف أنّ الوجود العربي قبل الإسلام كان يصل إلى الحِيرة (قرب الكوفة) وإلى تخوم الشاطئ الغربي لنهر الفرات؛ أي إنّ العرب كانوا يتنقلون في غربي بلاد ما بين النهرين (العراق) حيث الصحراء، أما العراق جنوباً ووسطاً وشمالاً فكان موطن الشعوب القديمة من سومريين ونَبْط (لعلهم صابئة مَندائيون) وأكّاديين وبابليين وآشوريين وكِلدان، إضافةً إلى الكُرد والفرس، وأما مناطق شرقي دجلة فكانت مواطن الكُرد خاصةً، ولذا سمّاها العرب "عراق العجم".

السلاح واللباس الكُردي في جزيرة العرب:

صحيح أن الساسانيين أسرة كُردية الأصل، لكن الدولة كانت باسم الفرس، وكانت كُردستان والعراق تابعتين للدولة الساسانية (الفارسية رسمياً)، ولم يكن الكُرد والعرب أصحاب دولة مستقلة، لذلك اقتصرت العلاقات بينهم على النشاطات التجارية، والدليل على ذلك وجود السلاح واللباس الكُردي في المجتمع القَبَلي العربي، وخاصة في النصف الشمالي من بلاد العرب.

١ - السلاح الكُردي: كان الميد (ماد)- وهم أبرز أسلاف الكُرد- مشهورين بإنتاج الجيّد منه، وظل السلاح الميدي محتفظاً بشهرته في العهود اللاحقة، وقد ذكر هيرودوت بشأن الجيش الذي قاده الملك الفارسي أَحْشَويرش لغزو اليونان، أن سلاح (السَّرنجيين)- وهم من أقوى فِرق الجيش الفارسي- هو "القوس والنُّشّاب والرماح الميدية".

وقال هيرودوت أيضاً في وصف الغزوة نفسها: "أما الآريون فكان على رأسهم سيزامنس بن هيدرانيس، وسلاحهم القوس الميدي".

وكانت صناعة الأسلحة قليلة في النصف الشمالي من بلاد العرب، فكان العرب يستوردون معظمها من المناطق المجاورة كاليمن وسواحل الخليج والشام والعراق بل من الهند أحياناً، وكانت الأسلحة المصنوعة في كردستان تصلهم عبر العراق، وتُباع باسم السلاح المادي (نسبة إلى ماد = ميد)، وسمّاه العرب (ماذي)، باعتبار أنهم كانوا ينطقون حرف (د) في كثير من الكلمات غير العربية بصيغة (ذ)، فقالوا (بغداذ، آزاذ، آباذ، همذان، قُباذ، سُنباذ) بدلاً من ((بغداد، آزاد، همدان، قُباد، سُنباد)، ولأمثلة على ذلك كثيرة في مصادر التراث العربي. وعدا هذا فإن الطَّبَري أورد اسم الميد بصيغة (ماذ)، وسمّى الملك الأخميني كورش (كيروش الماذَوي)، كما أن ابن خَلْدون أورد اسم الملك الأخميني داريوس بصيغة (داريوش ملك ماذي).

وقد قال الشاعر اليَثْرِبي عبد الله بن رَواحَة (من مشاهير الصحابة في الإسلام) يردّ على منافسه الشاعر اليَثْرِبي قَيْس بن الخَطِيم، قبل الإسلام:

ومُعْتَرَكٍ ضَنْكٍ يُرى الموتُ وَسْطَهُ مَشَينا له مَشْيَ الجِمال المَصاعِبِ

برَجْلٍ تَرى الماذِيَّ فوق جلودهمْ وبَيْضاً نَقيّاً مثلَ لون الكواكـــــــــــبِ

[معترك: معركة. ضنك: حامية جداً. المصاعب: جمع مُصْعَب، وهو الفحل القوي الذي لا يُركب، ويُترك للفحولة، وبه سمّى العرب اسم مُصْعَب، ومنهم مُصعب بن الزُّبَيْر بن العَوّام. رَجْل: مقاتلون مشاة. الماذيّ: السلاح. بَيض: جمع بيضة، أي خوذة].

وقال النابِغة الذُّبْياني (شاعر عاش قبل الإسلام) يمدح بعض العرب:

مُسْتَحْقِبِي حَلَقِ الماذِيِّ يَقْدُمُهم شُمُّ العَرانِينِ ضَرَّابُونَ لِلهـامِ

[مستحقب: حامل معه. حلق الماذي: السلاح. العرانين: الأنوف. الهام: الرؤوس].

٢ - اللباس الكردي: الكرد مشهورون إلى الآن بصنع الثياب والبسط، بسبب بعدهم عن المدن، واعتيادهم على الاكتفاء الذاتي في توفير الحاجات الأساسية، ونظراً للشبه بين حياة البدو الكرد Koçer والبدو العرب، كانت بعض الألبسة المصنوعة في كُردستان تلقى قبولاً في الوسط العربي، وكان يحمل اسم (الكُرديّ)، وقد جاء في (سُنَن أبي داود) ما يلي:

"عن عائِشةَ قالتْ: صَلّى رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ في خَمِيصَةٍ لها أَعْلامٌ [= أهداب]، فقال: شَغَلَتْنِي أَعلامُ هذه، اذْهَبُوا بِها إلى أبي جَهْمٍ، وأْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّتِهِ... قَالَ [= الرواي]: وأَخَذَ كُرْدِيّاً كان لأبِي جَهْمٍ. فقِيل: يا رسُولَ اللّهِ، الخَمِيصَةُ كانتْ خَيْراً مِن الكُرْدِيِّ".

ويُفهَم من المصادر أن الخَمِيصَة كِسَاء مُرَبَّع أسود في الغالب، يُنسَج من الحرير أو الصُوف، فيه تطريز بلون مختلف عن لون الكساء. أما

الأَنْبِجَانِيَّة فكِسَاء غَلِيظ من غير تطريز، نسبة إِلَى مَوْضِع يُقَال لَهُ أَنْبِجَان. والمقصود بعبارة "وَأَخَذَ كُرْدِيّاً"، أَيْ "رِداء كُرْدِيّاً". وجاء في بعض المصادر أن هذا النوع من الأردية منسوب إلى كُرْد بن عَمْرو بن عامر بن رَبِيعَة بن صَعْصَعَة، وقد ذكر بعض النسّابة العرب- ومنهم أَبُو الْيَقْظَان- أن كُرد بن عمر هو جدّ الكُرد".

ونستخلص مما سبق أن مصنوعات كُردستان كانت تصل إلى أسواق العرب، وتحمل معها اسم (الكُردي)، وهذا دليل على وصول التجار العرب، أو التجار الذين كان العرب يتعاملون معهم، إلى كُردستان، أو إلى أسواق العراق التي كانت تتوافر فيها البضائع الكردستانية، وربما كانت ثمة علاقات تجارية بين الكرد والعرب.

الصحابي جابان الكُردي

ثمة دليل آخر على وجود العلاقات بين الكُرد والعرب قبل الإسلام، فالكتب الخاصة برجال الحديث النبوي تذكر تابعياً اسمه مَيْمُوْن الكُردي، وجاء في كتاب "ميزان الاعتدال في نقد الرجال" للحافظ الذَّهَبي (ت ٧٤٨هـ) أنّ كُنية ميمون هي أبو بَصِير، وذكر كلٌّ من الحافظ الذَّهَبي والحافظ المِزّي تابعياً آخر اسمه مَيْمون بن جابان، وكُنيته أبو الحَكَم، روى عن أبي رافع الصائغ عن أبي هريرة مرفوعاً: "الجراد من صيد البحر".

وروى ميمون الكُردي عن أبي عثمان النَّهْدي، وعن أبيه، عن النبي محمّد، وروى عنه جماعة منهم الزاهد الشهير مالك بن دِينار، وعَدّه أبو داود من الثِّقات في رواية الأحاديث النبوي، وقال أحمد بن حَنْبَل

في مُسْنَده: "حدَّثَنا يزيد، حدّثنا دَيْلم، حدّثنا ميمون الكُردي، عن أبي عثمان؛ سمع عمرَ [= بن الخطّاب] يخطب، فقال: سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: إنّ أخوفَ ما أخاف على هذه الأُمّة كلَّ منافق عليمِ اللسان".

قال اليَماني بشأن ميمون الكُردي: "لم يُعزَ ولم أعثر عليه، ووالدُ ميمون الكُردي لا يكاد يُعْرَف، وقد ذُكر في (أُسْد الغابة والإصابة) باسم جابان، ولم يذكروا له شيئاً. وسأل مالكُ بن دينار ميمونَ الكُردي أنْ حدِّثْ عن أبيك الذي أدرك النبيَّ وسمع منه، فقال: كان أبي لا يُحدّثنا عن النبيّ مَخافةَ أن يَزيد أو يُنقص".

ولم تُذكر السَّنة التي توفّي فيها التابعي ميمون الكُردي، لكنّ المصادر تشير إلى أنّ مالك بن دِينار الذي روى عنه عاش في البصرة وتوفّي سنة (١٢٣ أو ١٢٧ أو ١٣٠ هـ)، وإذا أخذنا بالحسبان أنّ متوسط عمر كلّ جيل يتراوح بين ٣٥ــ٤٠ سنة، فذلك يعني أنّ ميمون الكُردي كان حياً- على الغالب- في العَقد الأخير من القرن الأول الهجري.

ومهما يكن فإنّ ما يهمّنا هو جابان والد ميمون، وجاء في "أُسْد الغابة" لابن الأثير وفي "تجريد أسماء الصحابة" للحافظ الذَّهَبي وفي "روح المعاني" للآلُوسي اسمُ صحابيٍّ يدعى جابان أبو ميمون؛ سمع من النبي محمد حديثاً يفيد أنّ أيّ رجل تزوّج امرأة وهو ينوي ألاّ يعطيَها الصَّداقَ لَقِيَ اللهَ عزّ وجلّ وهو زانٍ. أمّا في كتاب "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حَجَر العَسْقَلاني فجاء الخبر عنه كما يأتي: "جابان

والد ميمون: روى ابن مَنْـدَه، من طريق أبي سعيد مَوْلى بني هاشم، عن أبي خالد: سمعتُ ميمونَ بن جابان الصَّرْدي، عن أبيه، أنه سمع النبي صلّى الله عليه وسلّم غيرَ مرة، حتى بلغ عشراً، يقول: مَن تزوّج امرأة وهو ينوي ألاّ يُعطيَها الصَّداق، لَقِيَ الله وهو زانٍ".

ولم يذكر ياقوت الحموي في "معجم البلدان" بلداً أو قرية باسم "صرد"، ولم ترد النسبة إلى هذا الاسم في كتاب "الأنساب" للسَّمْعاني (ت ٥٦٢هـ) ولا في كتاب "اللُّباب في تهذيب الأنساب" لابن الأَثير عزّ الدين (ت ٦٣٠هـ)، لكن ورد في "معجم البلدان" لياقوت الحموي اسم "سَرْدَرُوذ"، وهي من قرى هَمَذان، وقد تكون النسبة "صَرْدي" محوّرة من "سَرْدي" نسبةً إلى سَرْدَرُوذ؛ وإذا صحّ ذلك فالأرجح أنّ جابان الصَّرْدي هو والد ميمون الكُردي، لأنّ هَمَذان تقع في إقليم الجبال، وهي من بلاد الكُرد، بل هي عاصمة الميديين القديمة أكْباتانا.

تعليق واستنتاج

إن الأخبار السابقة تقودنا إلى الحقائق الآتية:

- أولها: كردية جابان، فقد نصّت المصادر على كردية ابنه ميمون، وليس من المعقول أن يكون الابن كُردياً ويكون الأب من جنسية أخرى.

- وثانيها: أنّ جابان كان من الصحابة، وأنه كان شديد الورع إلى درجة أنه كان يتحرّج في رواية الأحاديث عن النبي محمد مخافةَ السهو أو الخطأ.

- وثالثها: أنّ سماع جابان من النبي محمد كان متكرّراً؛ أي إنه كان يلتقيه مراراً، وإلاّ فلماذا يطالب الناس ابنه ميموناً بأن يروي لهم ما سمعه عن أبيه عن النبي محمد؟

- ورابعها: أنّ الكُرد منذ فجر الدعوة الإسلامية كانوا شعباً قائماً برأسه معروفاً باسمه، وكان معروفاً عند العرب في الحجاز باسم (كُرد)، والدليل أنه لم يُقل "ميمون الفارسي" كما قيل عن سلمان "سلمان الفارسي"، بل قيل: ميمون الكُردي.

ونستنتج مما سبق أنّ جابان كان مقيماً على الغالب في المدينة، حيث أقام النبي محمد بعد الهجرة، ولعله كان من أهل مكة، فهاجر إلى المدينة بعد إسلامه؛ فالمعروف أنّ جاليات فارسية ورومية وصابئية وحبشية كانت تقيم في مكة لأغراض تجارية أو تبشيرية بالزردشتية أو سياسية، وقد يكون جابان أحد أفراد تلك الجاليات، على أن نأخذ بالاعتبار أنّ الكُرد كانوا- في الغالب- من التبعية الفارسية سياسياً ومن التبعية الزردشتية ثقافياً.

ومن المحتمل أن يكون جابان قد وقع في الأسر خلال الحروب الفارسية والبيزنطية، ثم بيع في أسواق النخاسة، وانتهى به الأمر إلى مكة أو المدينة، باعتبارهما مركزين تجاريين بين العراق وبلاد الشام من ناحية وبين اليمن بوّابة شبه الجزيرة العربية على إفريقيا وجنوبي

آسيا من ناحية أخرى. وعلى أية حال لم يكن جابان حديث عهدٍ بالحجاز، وإلا فكيف أجاد اللغة العربية فهماً وتحدّثاً إلى درجة أنه كان يفهم بدقّة ما يسمعه من النبي محمد، وينقل ما سمعه إلى الآخرين بدقة؟

المراجع:

1) هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ص ٥١٧.
2) المرجع السابق نفسه.
3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٦٨٣/١.
4) النابغة الذبياني: ديوان النابغة الذبياني، ص ٢٣٠.
5) أبو داود: سُنن أبي داود، ٣٠٣/١ – ٣٠٤.
6) محمد شمس الحق العظيم آبادي: عون المعبود، ٤٠٩/٢.
7) الذَّهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ٢٣٦/٤. وانظر المِزّي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ١٣٦/٢٧، ٢٣٦/٢٩. ابن حَجَر العَسْقَلاني: تهذيب التهذيب، ٣٩٤/١٠ ـ ٣٩٥.
8) عبد الرحمن بن يحيى اليَماني: الأنوار الكاشفة، ص٥٩.
9) الذهبي: تجريد أسماء الصحابة، ٧١/١. ابن الأثير: أُسْد الغابة في معرفة الصحابة، ٢٩٩/١. ابن حَجَر العَسْقَلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٠١/١.

10) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢٣٦/٣. وانظر ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج٢، باب السين والراء. السَّمعاني: الأنساب، ج٥، باب السين والراء.

××××××

ليس بالاضطهاد يُخاطَب الأكراد

بقلم: محمد الحسناوي

كاتب وروائي من جسر الشغور (١٩٣٨-٢٠٠٧) .عمل مديراً لتحرير مجلة حضارة الإسلام (١٩٦١م)، نشر ديوانه (في غيابة الجب) سنة ١٩٦٨ باسم مستعار (محمد بهار) كما نشر لاحقا عدة مجموعات شعرية وقصصية. ورواية (خطوات في الليل – ١٩٩٤). وله كتاب عن إبراهيم هنانو على شكل قصص ومسرحيات قصيرة. كان داعية وأديبا من التيار الإسلامي.

لا يكاد ينقضي شهر حتى نسمع بوفاة مواطن سوري كردي تحت التعذيب في سجون الرأي أو في أداء الخدمة الإلزامية في الجيش، حتى تعودنا على سماع هذه الأنباء مثل تعودنا على سماع أنباء الضحايا اليومية البريئة في الأراضي المحتلة، في فلسطين أو في العراق، ومع ذلك في العراق وفي فلسطين يوجد حرب عدوانية بل حروب وأعداء أجانب، ولكن ماذا في سورية؟

في شهر نيسان من عام ١٩٦٧م، وفي أثناء اعتقالنا في سجن المخابرات العسكرية في مدينة حلب بسبب فتنة إبراهيم خلاص ضد الأديان السماوية، والتطاول على اسم الله تعالى، والإضراب العام الذي قمع بقوة الجيش، وكسر أقفال المحلات العامة ومصادرة المغلق منها.. صادفنا بعض المواطنين الأكراد المعتقلين قبلنا بسنوات، عن طريق تكليف أحدهم بالحلاقة للسجناء الجدد مثلنا. همس الحلاق: أنا فلان الكردي، معتقل منذ كذا سنوات. من أنت؟ ولماذا اعتقلتم أنتم؟ مرحباً بكم؟ في البداية لم نستجب خوفاً من أن يكون الحلاق مخبراً مزدوجاً، لكن علمنا فيما بعد بقصة اعتقالهم، والسجين إلى السجين نسيب. وعلمنا أن نظام الخوف العام يوقع بين المواطنين، ويجعلهم يتخندقون حذراً أو شكاً أو تربصاً.

ثم تعمقت معرفتي بالشؤون الكردية حين عملي مدرساً لمادة اللغة العربية في ثانوية عفرين شمال حلب لمدة سنتين، قبل يوم الثامن من آذار ١٩٦٣ وبعده، واستدعيت لفرع المخابرات أكثر من مرة بسبب معاملتي العادلة لطلابي، أي ضد التمييز بين العرب والأكراد. ومع الأيام، علمت أن هناك الحزام العربي في الجزيرة السورية حول

مليوني مواطن كردي، ومصادرة لأراضي الأكراد، وتسليمها للعرب المهجرين من منطقة الغمر في سد الفرات، وأن هناك حرماناً لربع مليون كردي من الجنسية السورية منذ الستينات، ومنعاً من التكلم باللغة الكردية، أو التمتع بحقوق المواطنة السورية كالتعليم والتنقل والتعيين في دوائر الدولة، وحتى اختيار أسماء المواليد، وأخيراً تم تغيير أسماء عدد من القرى والبلدات التي يُشم منها رائحة غير عربية في الجزيرة السورية والشريط الحدودي شمالاً.

كما بلغني أن رئيس الأركان السوري الأسبق أحمد سويداني فوجئ بعد هزيمة حزيران في الجبهة السورية عام ١٩٦٧م بمجند سوري كردي يسأله: أأنا سوري أم غير سوري؟ فيستفسر منه غاضباً، فيجيب المجند: أنا وأمي وأبي وإخوتي محرومون من الجنسية السورية، وقد قاتلت معكم اليهود، فلماذا تحرموننا من حقنا في الجنسية؟ ولا حاجة لنقل الجواب المعروف!!

ومثل هذه المعلومات عن القطر السوري وحزبه "القومي" الحاكم، بتنا نستقبل أخبار الأكراد في العراق وتركية ونحلل ونحوقل، ونسأل الله تعالى الفرج.

إن الفتنة بدأت من سياسة التتريك ويهود الدونمة والقومية الطورانية، واقتباس المفهوم القومي على الطراز الأوروبي، وإحلاله محل الرابطة الإسلامية، ثم الغلو في التعصب للقوم لا للمبادئ والأفكار والمعتقدات التي تصنع الأمم والحضارات، وإن القول بالقومية العربية، يعني القول بالقومية الكردية، والقول بأية قومية يعني شعباً

وأرضاً ودولة مستقلة، ويعني انفصالاً جديداً في جسد الأمة من معاهدة "جالديران" إلى معاهدة "سايكس بيكو"، وهلم جرّا.

لقد فرض المنطق القومي وفي صوره العنصرية المتخلفة، واحتاج الأمر إلى سياسات جديدة مبتكرة مضنية، للتعاون أو التعاضد أو الجيرة بين أقوام لا بين إخوة، وبوسعك أن تقرأ هذه المعاناة الصعبة في كتاب المقدم منذر الموصلي المتشبع بالفكر القومي البعثي، والتحليل الاقتصادي الماركسي تحت عنوان "عرب وأكراد"، يحاول فيه المستحيل لتحنين قلب الأكراد على العرب وبالعكس. ويعترف بأنه ضابط أمن سابق عمل في الجزيرة السورية وفي منطقة عفرين، التي يكثر فيها الإخوة الأكراد!! يقول: "تبدأ قصتي مع الأكراد من خلال مواجهتنا للنشاط الكردي في شمال شرق سورية العربية بمرحلة سابقة. وهو نشاط بدا فيما بعد أنه كان عابراً محدوداً لم يترك وراءه أي أثر، وكان نتيجة "هلوسات" لا تملك رؤى صحيحة ولا أي فهم لطبيعة الأوضاع الديمغرافية وحقيقة تشكلها في الشمال السوري. وكان من جراء ذلك أن ردود الفعل كانت كبيرة نجمت عنها إجراءات قمعية كان لا بد منها.." (ص٩ و١٠).

ومن المفارقات أن أساطين التعصب القومي الذين أوقدوا نار الخلافات، يزعمون أنهم يعملون على إطفائها، فيقول ضابط الأمن القومي الموصلي في مقدمته: "لذلك يأتي هذا الكتاب بمثابة مساهمة جادة في عملية إخماد ذلك الحريق". وكيف ينطفئ الحريق وفي كل شهر نسمع بمصرع مواطن كردي أو أكثر تحت التعذيب أو في الخدمة الإلزامية؟ وإذا كانت الوعود تطلق بالجملة، ولا يتحقق منها

هباءة أو ذرة واحدة؟ وكما قيل: "ليست المسألة رمانة، ولكن القلوب مليانة". ملأى بماذا يا ترى؟

ما معنى أن تتحول مباراة لكرة القدم في مدينة القامشلي في شهر آذار الماضي إلى مواجهة دامية، يمتد لهيبها إلى عدد من المحافظات سورية، من الجزيرة إلى حلب وإلى العاصمة دمشق، فتزهق خمس وأربعون روحاً بشرية بريئة، بعضها أطفال، ومئات المعتقلين ما زال بعضهم يعرض على المحكمة العسكرية، ورئيس الجمهورية يعترف صراحة بأن لا عامل خارجياً في المشكلة تلك؟ بل يزور المنطقة المتضررة ويعد بالنظر في المظالم، لا سيما إعادة الجنسية للمحرومين منها، وفي تصريح آخر يعترف بالقومية الكردية الشقيقة، ولكن ذلك كله ظل حتى الآن - كما قيل - حبراً على ورق أو ذهب مع الريح!! والسؤال: من أوقد النار أصلاً؟ ومن يستمر في صب الزيت عليها بسياساته العنصرية واستبداده؟ ولماذا يزداد الاشتعال منذ خمسين عاماً حتى يومنا هذا؟

المواطن الكردي بشر له روح وكرامة وحقوق ككل المواطنين، بل إن المناطق الحدودية محرومة من البنى التحتية، مضافاً إليها سياسات هادفة للتهميش والتجهيل والتغييب وحتى الإبادة صدق أو لا تصدق، ثم يقال لك: هناك مؤامرة خارجية! إن الذين يشتبه بتآمرهم هم الذين يقتلون المواطنين الأبرياء في السجون تحت التعذيب أو في أدائهم الخدمة الإلزامية. هم الذين يدقون أسافين العداوة والبغضاء والشحناء بلا أدنى مسوّغ، إنهم يبحثون عن الأصدقاء والحلفاء الأوربيين والهنود والأمريكان، ويستعدون مواطنيهم على الشعب والأمة

والوطن! نفذ ما عليك من واجبات وأعط الناس حقوقهم بسواسية وقسطاس، ثم استفسر عن العداوة أو عن المحبة. أما أن تصفعني ليل نهار وتسب آبائي وأجدادي، ثم تزعم أنك تحبني، فهذا غير صحيح. فإن كنت تفعل ذلك عامداً متعمداً، وبسياسات ممنهجة، ولأزمان متطاولة، فهذا هو التآمر بعينه. والساكت عن الحق شيطان أخرس.

المجند الكردي السوري محمد شيخ محمد اغتيل بإطلاق عيارات نارية عليه، بينما كان يؤدي خدمته الإلزامية في وحدته العسكرية بمنطقة القطيفة، كما أفادت اللجنة السورية لحقوق الإنسان (أخبار الشرق ٢٠٠٤/١٠/٢٩م)، كما سبق أن اغتيل رقيب كردي آخر في الجيش السوري قبل شهور (مركز الشرق العربي ٢٠٠٤/٦/١٦) ولم يتخذ تحقيق ولا ما يحزنون.

أما المواطن أحمد حسين حسين من سكان قرية الصالحية في محافظة الحسكة، وهو أب لأربعة أطفال، اعتقل بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٣م، فقد توفي تحت التعذيب عند المخابرات العسكرية لتعاطفه مع القضية الكردية، ومع تنظيم عبد الله أوجلان الذي كان حليفاً للسلطة سابقاً (مركز الشرق العربي٢٠٠٤/٨/٥م). وفي الشهر نفسه توفي معتقل كردي آخر تحت التعذيب. على حين صدر حكم من محكمة أمن الدولة على المواطن الكردي محمد علي عمر بالسجن سنتين ونصف السنة، بسبب مشاركته باعتصام سلمي للمطالبة بالجنسية السورية، وهناك أكثر من ١٨٠ من الذين اعتقلوا في أحداث شهر آذار ما زالوا رهن الاعتقال، وإن ١٧ منهم يعرضون على محكمة أمن الدولة، وإن

٣٥ مراهقاً تعرضوا للتعذيب، بعضهم بالصدمات الكهربائية أو بنزع أظافر أصابع القدم (القدس العربي ٨/٢٧ و٢٠٠٤/١١/٣).

إن شعباً أعطى البطل صلاح الدين الأيوبي الذي حرر فلسطين والقدس يوماً ما، وأنجب الزعماء أمثال أبي الفداء الأديب العالم ملك حماة الأيوبي وإبراهيم هنانو ويوسف العظمة ومحمد كرد علي.. إن هذا الشعب لا يستحق هذا الظلم، ولا يجازى على وطنيته وإخلاصه بالعقوق والاضطهاد، وإذا زعم زاعم أو نعق غراب بباطل، فلا أقل من اللجوء إلى القضاء العادل والدستور والقانون، وإلا فنحن نخرب أوطاننا بأيدينا، وننفذ فينا مآرب أعدائنا. يخطئ من يعامل هذا الشعب معاملة أقلية، ويخطئ أيضاً حين لا يمتعهم بحق المواطنة كالأقليات الطارئة والمواطنين الأرمن مثلاً، وهم ليسوا لاجئين ولا مواطنين من الدرجة الثانية. فكيف إذا كان يعمل على استئصالهم؟! وليس صحيحاً أن البلوى العامة تساوي بين المواطن الكردي والعربي في الاضطهاد، لأن الفساد لا يقاس عليه، وظلم قوم لا يلغيه عن قوم آخرين. ولا بد من العدل أساس الملك، فلترتفع الأصوات الحرة بالاستنكار، ولتتشابك الأيدي والأذرع والأدمغة لإزالة هذا العار.

---

* نشرت في أخبار الشرق بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ٢٠٠٤

مقدمات في الحوار العربي الكردي في شمال شرق سوريا

الأستاذ: **رياض درار** – رئيس مجلس سوريا الديمقراطية

في نهاية شهر تشرين ثاني من سنة ٢٠١٨ التقى مجموعة من السياسيين، وبينهم أفراد من منظمات مجتمع مدني، بغاية إفساح المجال لمنظمات المجتمع المدني والأحزاب والحركات السياسية للعمل بحرية وكفاءة دون خشية تعرضهم للاعتقال أو الانتقام، وتم الاتفاق على معايير بشأن أفضل الممارسات تعتمد على صياغة تشريعات واضحة وشفافة لتنظيم ذلك تأسيسا ونشاطا.

شارك ذلك اللقاء أعضاء من المجلس الوطني الكردي وأخرين من الكرد الممثلين في الادارة الذاتية ومسد، وبسبب صورة مشتركة للطرفين ضجت وسائل التواصل الاجتماعي بهستريا ولعنات وشتائم من كلا الطرفين لا تفهم إلا في سياق غياب الوعي العملي للأهداف السياسية والعقلية الثأرية التي تسود المجتمعات العشائرية والصراعات القبلية.

ورغم ذلك استمر الحوار وكان هذه المرة مقتصرا على مناطق الإدارة الئاتية في شمال وشرق سوريا، وكان لقاء زيوريخ في شباط ٢٠١٩، وقد أقر مشاركون في مسد بأن مشروع حوكمة المجلس "مستمر في التشاور مع المجتمعات المحلية لإيجاد سبل لتحسين الحوكمة المحلية". ودعا ممثلو "مسد" إلى تبني رؤيتهم بشأن "اللامركزية الديموقراطية" مستقبلا - بناء على التوزيع الجغرافي للمناطق، وليس على أي تكتلات عرقية أو طائفية - كنموذج لضمان تمكين الفاعلين المحليين من إدارة مناطقهم حقا، وأن يكونوا أكثر مساءلة، وبفعالية أكبر، أمام المواطنين. وقد أقروا بوجود "قصور من حيث التمثيل والمساواة في التوزيع في إداراتهم حتى الآن، ودعوا إلى تعزيز الحوار لمعالجة هذه الجوانب".

وطالبوا بزيادة التواصل وتبادل الأفكار ما بين ممثلي مؤسسات الحوكمة في شمال سورية شرقا وغربا، وربط المجالس التي تديرها المعارضة تحت مظلة الحكومة السورية المؤقتة في الشمال الغربي مع المجالس التي يديرها "مسد". ودعوا إلى المصالحة مع المعارضة التي تدعمها تركيا كخطوة تجاه تقوية الجهود المشتركة لإحراز تقدم

في المشروع السياسي الديموقراطي وزيادة الضغوط على النظام، كما دعوا إلى تشكيل وفد مشترك للتواصل مع أنقرة بشأن مخاوفها حيال هذا التقارب. واقترحوا خارطة طريق لتوجيه المحادثات مع تركيا تشمل:

أـ زيادة الشفافية وتوسيع تمثيل أبناء المنطقة في المجالس المحلية.

ب ـ توزيع الصلاحيات بحيث تشمل أصغر الوحدات الإدارية لتشجيع السياسات التشاركية.

ج ـ تطوير مساحة سياسية مفتوحة للمنظمات السياسية لتنظيم حملاتها بكل حرية.

من شأن المصالحة ما بين منطقتي الشمال الغربي والشمال الشرقي أن تساعد في التمهيد لجهود بناء الثقة اللازمة لتحقيق الاستقرار في سورية على المدى الطويل. كما يمكن أن تؤدي إلى تعزيز ممارسات الحوكمة الديموقراطية الشفافة وتضفي الشرعية على الإدارات المحلية القائمة، وتحفز أهالي المنطقة على المشاركة في برامج في المستقبل لتحقيق الاستقرار.

كانت هذه مقدمات الحوار العربي الكردي، والكردي الكردي لاحقا، بغاية أنه إذا تم سيكون مشجعا لوحدة قوى المعارضة وتقريب جهودها المشتركة في الحل السياسي.

وفي باريس في شهر أذار ٢٠١٩ جرت حوارات أخرى لتمكين الوصول إلى تفاهمات بأمل أن تكون بداية لبناء الثقة توحيد الجهود

لأن يتطور الحوار إلى خطة يلتف حولها المعنيون السوريون، ومن بين المقترحات الواعدة طرح مقترح بشأن تشكيل مكتب مشترك للتنسيق بين مسد والمجلس الوطني الكردي وبقية الفعاليات من خارج هذين الإطارين، تكون مهمته متابعة التواصل ما بين المجموعات المختلفة حول مسائل كالحوكمة والهياكل الأمنية، وقد دعا "مسد" إلى عقد اجتماع منفصل مع المجلس الوطني الكردي، لبحث مسائل لها صلة بالعلاقات ما بين الأكراد. وإمكانية العمل لأجل الوصول إلى "اتفاق سياسي" يشمل الحقوق والحريات، ومبادئ الحوكمة الديموقراطية، والعلاقة بالعملية السياسية عموما.

فالحوار الكردي - الكردي كان مشروعا من مسد للغايات التي ذكرت ولكن الاستجابة كانت بطيئة وفي كل لقاء جديد كانت عودة للبدايات بسبب أن ممثلي المجلس الوطني المبعوثين للحوار كانوا من الصف الثاني الذين لا يملكون قرارا وإنما تكرار مطالب بلا مقابل يسمح بتطوير المشاركة، وكان من بين المقترحات الواعدة مقترح بشأن تشكيل مكتب مشترك للتنسيق بين مجلس سورية الديموقراطية (مسد) والمجلس الوطني الكردي وجماعات أخرى، وتكون مهمته هي متابعة التواصل حول مسائل كالحوكمة والهياكل الأمنية. وقد أكد "مسد" ضرورة عقد اجتماع منفصل مع المجلس الوطني الكردي لبحث مسائل لها صلة بالعلاقات ما بين الكرد. وبحث المشاركون من كل الأطراف أيضا إمكانية العمل لأجل الوصول إلى "اتفاق سياسي" يشمل الحقوق والحريات، ومبادئ الحوكمة الديموقراطية، ورؤية

للحوكمة في المنطقة الشمالية الشرقية، والعلاقة بالعملية السياسية عموما.

ومع إدراك التحديات العديدة الماثلة أمام هذا التحرك كان لابد من التحذير من أن إحراز مزيد من التقدم يتطلب التأكيد بوضوح على رغبة جميع الأطراف بإطلاق تدابير لبناء الثقة تكون ملموسة ويمكن قياسها لتحفيزهم للدخول في مفاوضات حول شراكات سياسية حقيقية في هياكل الحوكمة القائمة. كما ستكون هناك حاجة لدعم المتنفذين الآخرين المعنيين من المنطقة – ومن بينهم العرب والكرد والسريان – في تنسيق مواقفهم بشأن الشراكات السياسية مع "مسد". وأن أي مقترحات تتبلور نتيجة مجموعة الحوارات سوف تتطلب الحصول على تأييد وضمانات من فاعلين أساسيين دوليين ومن المنطقة لضمان تبنيها. حيث التحديات السياسية والأمنية في الشمال الشرقي، إلى جانب التحول في مواقف فاعلين دوليين ومن المنطقة تزيد الضغوط بشأن شكل واستمرارية هياكل "مسد" الأمنية والسياسية. ومازال هناك احتمال كبير لإمكانية حدوث مواجهة بسبب التهديدات التركية على الحدود، وقد كان القلق من عدم اتساق موقف واشنطن تجاه الشمال الشرقي خاصة وتجاه الصراع السوري عموما، وضرورة استمرار الانتشار الأمريكي في المنطقة بغاية منع عودة ظهور داعش، والتحذير من الخلايا النائمة والفكر المسموم الذي تبثه، والذي تشجع عودته التحركات التركية على الحدود، كما أن هناك غايات صعبة لفاعلين أساسيين في المنطقة (تركيا وروسيا وإيران وحكومة

الأسد) إن لم تتم معالجتها فقد تؤدي إلى مزيد من الصراع في المنطقة.

وكان التشديد على أهمية انتهاز الفرصة التي يتيحها القرار الأمريكي بالإبقاء على قوات له على الأرض. وضرورة أن تعمل الأطراف السورية المهتمة بإحلال الاستقرار في الشمال الشرقي في أعقاب هزيمة داعش مع بعضها للوصول إلى تفاهمات بشأن "مشروع شمولي مشترك" للمنطقة. وعلى أهمية بناء الثقة ما بين الأطراف الأساسية لأجل الاتفاق على أرضية مشتركة.

وقد نوقشت لأجل ذلك مبادرة لحماية الحدود بقوات مشتركة ولمعالجة الهواجس الأمنية في المنطقة ومنع أي تدخل عسكري تركي محتمل، والتأكيد على قيادة قسد التي خبرت هذه التحولات وعملت على مواجهتها بشكل منظم ومحترف، و أن تكون الأطراف الدولية بمثابة ضامن وتشرف على نقاط المراقبة على امتداد الحدود، وشدد "مسد" على ضرورة أن يكون لقوات سورية الديموقراطية دور أساسي في قوة الحدود – ذلك باعتبارها القوات الأمنية الأساسية في المنطقة حاليا والأكثر فاعلية في التصدي لداعش. لكن المشاركين الآخرين من المنطقة عارضوا هذه الفكرة بشدة، قائلين بأن من شأن وجود عناصر وحدات حماية الشعب ضمن "قسد" أن يجعل قوة الحدود هذه غير مقبولة نهائيا لدى تركيا. حيث إن "الغرض من هذه القوة المحلية هو إبطال حجة تركيا لاجتياح الشمال الشرقي". فكان أن ناقش المشاركون أن تتألف قوة الحدود هذه من مقاتلين متدربين من أبناء المنطقة تربطهم روابط مباشرة بالمناطق التي سوف يتمركزون فيها،

على أن تتقرر معايير وطرق اختيار هؤلاء المقاتلين خلال نقاش من قبل متخصصين يُعقد مستقبلا. كما تتناول المناقشات مستقبلا مسائل تتعلق بعتاد وتشكيل ومهام هذه القوة. وأن تكون جميع الأطراف ممثلة بالتساوي في رئاسة الأركان المشتركة، بغض النظر عن عدد الأفراد التي تساهم بها هذه الأطراف في قوة الحدود المشتركة.

ومن أجل خلق بيئة لبناء الثقة المستدامة توقف المشاركون عند ضرورات لإنجاح العملية منها وقف التحريض الإعلامي من جانب جميع الأطراف وفسح المجال للعمل السياسي والمدني والإفراج عن المعتقلين السياسيين وعقد اجتماعات منتظمة للتشاور بين الأطراف الفاعلة لتسوية جميع المسائل العالقة. وتمت الإشارة إلى أن مسؤولية خفض التوترات والمبادرة في تدابير بناء الثقة تقع على عاتق جميع الأطراف، وليس فقط "مسد". وأن إحراز تقدم في المفاوضات بشأن الشراكات السياسية لا بد من أن تسمو فوق الحالة الراهنة من المرارة والإلقاء باللائمة بشكل متبادل.

استمر اللقاء في مراحل أخرى وكان هناك اهتمام كبير بأهمية التفاوض على اتفاق سياسي للمنطقة في شمال وشرق سوريا لدى العرب والكرد كخطوة أولى لتأسيس هياكل حكم محلي أكثر تمثيلا وشمولية ومساءلة ولذلك تمت مناقشة خطة من أربع مراحل يمكن أن تكون أساسا للنقاش لاحقا، تقوم المرحلة الأولى على بناء الثقة وتكون متزامنة مع المرحلة الثانية التي تتعلق بمفاوضات للوصول إلى اتفاق سياسي. وفي كلتا المرحلتين يتم التركيز على تحسين الثقة ما بين الأطراف من خلال رعاية مساحة مفتوحة وديمقراطية تتيح لجماعات

المجتمع المدني والأحزاب السياسية ممارسة عملها بحرية وفعالية، والمساعدة في عودة الفاعلين السياسيين واللاجئين، والتفاوض على ترتيبات إدارية انتقالية تستند إلى الهياكل الإدارية الموجودة في الإدارة الذاتية، وأن يشمل الاتفاق السياسي التزامات لحماية الحقوق والحريات ومبادئ الحوكمة الديمقراطية، وما يتعلق بمستقبل الدولة السورية، والمشاركة في العملية السياسية لسوريا بقيادة الأمم المتحدة. وتقوم المرحلة الثالثة على تطبيق ألية لتحقيق تمثيل أوسع نطاقا بما في ذلك إمكانية اجراء انتخابات لتحقيق حوكمة أكثر تمثيلا وشمولية، والاتفاق على ترتيبات إدارية انتقالية خلال هذه المرحلة. وفي المرحلة الرابعة يتم الاعتراف بنتائج الآليات المتفق عليها، وتطبيقها لإحلال الأمن، وتحقيق حوكمة شمولية وممثلة للجميع، وتخضع للمساءلة في الشمال الشرقي. والغاية من كل هئا تأسيس الثقة وحشد الإجماع ما بين ممثلي مُختَلَف المكونات من العرب والكرد والسريان آشوريين وجميع أهالي المنطقة والشخصيات الاجتماعية والسياسية.

عن أوهامٍ وأحلامٍ تعيق الحوار الكردي- العربي في سوريا

الأستاذ: موفق نيربية

معارض وكاتب سوري. سجين سياسي سابق. الحزب الشيوعي السوري – المكتب السياسي سابقا (حزب الشعب الديمقراطي). عضو الأمانة العامة لإعلان دمشق سابقا. نائب رئيس الإئتلاف سابقا.

لم تحظَ القضية الكردية السورية بالاهتمام والتركيز ذاته دائماً، بل تعاظم ذلك بالتدريج، وخصوصاً في النصف الثاني من القرن العشرين. وحين اشتدّ عود القضية القومية تلك بما يكفي لإثبات الوجود والصوت، كانت القضية القومية العربية ما زالت تملأ الأجواء الإقليمية صخباً وتأثيراً، الأمر الذي زاد من صعوبة تسويق الأولى.

من الواضح كذلك أن القضية الكردية أكثر وضوحاً وتجسّداً في تركيا والعراق وإيران منها في سوريا. ولا يتعلّق هذا بحجم السكان المعنيين هنا وحده، بل أيضاً بتوزّعهم الجغرافي، الذي ينفصل بأماكن التواجد أحياناً، إذ يجمع كرد سوريا بأربعة أشكال جغرافية: الجزيرة وكوباني وعفرين وجبل الأكراد في الساحل، ودمشق وحلب والمدن الأخرى، وكذلك بتوزّعهم التاريخي إن جاز القول، حيث هنالك وجود متباين في قدمه على تلك الجغرافيا.

ولم يبدأ الكرد بالتواجد سياسياً في المساحة السورية المشتركة إلّا في مطلع هذه الألفية، بغض النظر عن تواجدهم في الأطر الشيوعية بوضوح سابقاً، أو في تواجد وجهائهم في الأحزاب السورية التقليدية الأخرى من دون انعكاس كرديّتهم على نشاطاتهم المباشرة. ولم يبرز مثل هذا التواجد بشكل قوي، كما لم ينعكس في توقيعات بيان ال٩٩ أواخر ٢٠٠٠، وبيان الألف في كانون الثاني التالي إلاّ بحدود ضئيلة جداً.

لذلك ابتدأ" الحوار" بطريقة عاطفية وعضوية تقريباً، مع الاندماج الكامل من خلال مسائل المجتمع المدني وحقوق الإنسان، ثمّ تطوّر

بسرعة نحو السياسة ووصل إلى التحالف الكامل مع تأسيس إعلان دمشق للتغيير في عام ٢٠٠٥. ولم يتوقّف هذا الحوار أبداً بعد ذلك وإن بشكلٍ متفاوت، لأن انخراطاً إيجابياً بين القوى السياسية على الطرفين قام وابتدأ تأثيره المتبادل، فيما يخصّ العلاقة مع النظام، والعلاقة بين أطراف المعارضة.

اعتور ذلك التفاعل حالات من الضعف والانزواء جانبياً- ونسبياً- منذ نهاية عام ٢٠٠٧، بعد انعقاد المجلس الوطني لإعلان دمشق، الذي كانت المشاركة الكردية فيه وفي التفاعل حوله مهمة جداً. ونشأت تلك الظاهرة بعد هجمة النظام على قيادات الإعلان، واعتقال قسم مهم من الفاعلين فيه والليبراليين خصوصاً، في حين تجنّب اعتقال المساهمين الكرد، رغم" ليبراليتهم" الفعلية في السياق، ولذلك أسباب ربّما يظهر بعضها فيما بعد.

ثمّ انشغلت القوي الكردية بتأسيس مجلسها الوطني، الذي كان من نتائجه الابتعاد أكثر، بذريعة عدم الدخول في الأحلاف المعارضة وقتئذٍ. وبسبب الرغبة في تظهير وتدعيم" الخصوصية". ولكن العاصفة الثورية التي اجتاحت البلاد في عام ٢٠١١، جاءت بمعادلات جديدة ومفاجئة، بانطلاقها من خارج الأطر السياسية العتيقة والقائمة، وباستنادها إلى قوة الشباب بطرائق مستقلة عملياً. وكان لذلك أن يبعث رعباً مكتوماً في تلك القوى، ويكون باعثاً لها على التفكير وارتجال المواقف في إيجابيتها وسلبيّتها، للحد من التأثيرات الجانبية لتلك العاصفة، من دون مواجهتها مباشرة بالطبع.

حدث حوار كردي- عربي في دوائر مختلفة وبتفاعل عملي، ولكن أوّل حوار معمّق حقيقي كان في محادثات المجلس الوطني الكردي مع الائتلاف الوطني المعارض، الذي نتجت عنه اتفاقية هي الأكثر تقدماً حتى الآن، فرضتها وقائع الأمور أكثر من أن تكون تعبيراً فعلياً ومتجذّراً، ولدى العرب أكثر مما لدى الكرد نسبياً. لذلك، ربّما قصّر الطرفان في تظهير تلك الاتفاقية وجوهر ما ورد فيها، وهو إيجابي حتماً، ولقي مقاومة شرسة في الهيئة العامة للائتلاف عند التصديق عليه، كما تبعه شيء من التراجع اللاحق من عديدين صوتوا عليه تحت الضغط وقوة التيار.

حالياً: استطاعت القوى الكردية الجديدة الفاعلة علي الأرض، وأهمها حزب الاتحاد الديموقراطي وقواته" حماية الشعب"، وبدعم لاحق من تحالفها مع التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة- بعد تلكؤ الائتلاف والفصائل القريبة منه وتحت التأثير التركي بدخول تلك العملية ضد داعش-..، استطاعت تلك القوى المحاربة أن ترفع من الروح الكردية بشكل غير مسبوق، بما حققته من نجاحات متميّزة على الأرض وفي تنظيمها وانضباطها وتقدّم بنيتها ومكاسبها على الأرض، وأدّى ذلك مع تهلهل المعارضة السورية التقليدية وارتهانها، وتحوّلها إلى حالة أكثر انعزالاً، إلى أن تنعكس ضعفاً على التمثيل السوري أيضاً في العملية السياسية، بالتباين في الآراء أحياناً، أو بالتباين على الأرض أيضاً، وخصوصاً من خلال العلاقات الخارجية التي يستقوي بها الطرفان هنا وهناك.. فيضعفان معاً على المدى الأبعد.

هذا الحوار لا بدّ من الدفع به، لأن أهميته مصيرية، ولأنه أساسي في استعادة الأنفاس والاستقواء المتبادل بين الجانبين كما ينبغي، للخروج من وضع الكارثة. ربّما يكون للحوار الكردي- الكردي خصوصاً، والحوار العربي- العربي أيضاً، أهمية في استعادة بعض ما فقدناه بأخطائنا وممارساتنا، وهو كثير.

ندرك مصاعب هذا المسار. ولكننا إذا استوعبنا- ربّما- أوهامنا وأحلامنا الخاصة والمشتركة أو المتشابهة، لنتعامل معها بما ينبغي من الصبر وتفهّم الآخر وحقوقه، نمهّد أرضاً لذلك الحوار بحيث يبدأ بشكل صحيح، ولا ينتهي بعد ذلك أبداً:

- حلم الوحدة العربية، وحلم الوحدة الكردية:

لكلّ جماعة قومية حقها في الحلم وحصتها من التاريخ والجغرافيا.. ولكلٍّ طريقتها في التعامل مع حلمها، واستعماله أو التماهي فيه. ولكن المكاشفة في أنّ ذلك مجرّد حلم أو حلم مجرّد، لا موضوعاً راهناً للتعامل معه أو استلاله من الصدر حيثما ينبغي ولا ينبغي، أمرٌ ضروري ولازم لحسن المسار وتحسين مواصفات هواء غرفة الحوار، وتهوين بعض عوائقه.

من الواضح كثيراً أن العرب السوريين قد ابتعدوا نسبياً عن ذلك الحلم بعد أن كان مستحوذاً عليهم، وأخذوا بالتعامل معه براغماتياً وبواقعية وبحسابات المصالح المشتركة، لا تغفل منافع التقارب المدروس، ولا تستعيد حمّى الخمسينات والستينات.

من الواضح أيضاً؛ ومن العديد العديد من الحوارات العامة والفردية؛ أن الكرد أيضاً- والسوريين منهم خصوصاً- قد مالوا إلى الإقرار به حلماً لا هدفاً راهناً ومنظوراً، وإن كان ذلك بطريقة أخفّ من الحالة العربية، وهذا طبيعي.

هنالك ما هو أقرب إلى" الرهاب" العربي من" مشروع الانفصال الكردي"، وهذه عقدة مقابلة لا بدّ للكرد من تفهمّها، وللعرب معالجتها. فتلك التمظهرات الكردية المتنوعة للتعبير عن تفاعل التوضّعات الجغرافية الأربعة، تبعث لدى العرب خيالات تظاهراتهم القومية، وأحياناً أمجاد القبائل وأيامها.. وكلها أرواح هائمة أو أشباح.

- القضاء على سايكس وعلى بيكو وخريطتهما:

في هذا الوهم يشبه الأمر حرباً على طواحين الهواء. فقد مرّ العرب في المشرق طويلاً بتلك الظاهرة، ودأبوا على اتّهام السيدين المذكورين بتقسيم" الأمة العربية" أو" الأمة السورية الكبرى"، وكأنهما كانتا موحّدتين من قبل. وكذلك يتّهم الكرد تلك الخريطة بتضييع فرصة العمر على الوحدة القومية المستقلة في كلّ مواطنهم، في مفاوضات الصلح بعد الحرب العالمية الأولى.

أنجز سايكس وبيكو اتفاقهما في العام ١٩١٦، وانعقد مؤتمر الصلح بعد ذلك بثلاثة أعوام تقريباً؛ الذي كانت من أهم مهامه عملية تقسيم تركة الرجل المريض وحماية أقلياته في المشرق، إضافة إلى رسم حدود أوروبا الداخلية وتقسيم تركة الأمبراطورية النمساوية الهنغارية. ارتبك ذلك المؤتمر كثيراً بأعماله تلك، وانعقدت مؤتمرات عديدة إلى

جانبه- أهمها كان في لندن-، وكانت الولايات المتحدة شبه مشلولة بفعل الخلاف العنيف بين الكونغرس الجمهوري والرئيس الديموقراطي.. حتى التوصّل إلى اتفاقية سيفر، التي تزامنت- لسوء حظ الكرد والأرمن والسريان- مع النهوض القومي التركي المحارب بقيادة كمال أتاتورك. الأمر الذي دفع إلى اتفاقية مختلفة في لوزان.. هنا كانت ربما لحظة القدر الكردية، التي لم تأبه بتلك الأمة الأضعف آنذاك، والتي لم تكن أصواتها عالية حتى بمقدار أصوات العرب الضعيفة أساساً، إلى حدّ منع الأمير فيصل آنذاك من حضور مؤتمر الصلح بطريقة مهينة.

كان للمشرق كلّه المصيرَ نفسه، الذي انحصر التحكّم فيه بين الميول الإنكليزية والفرنسية وربما الروسية لحماية أقلياته ودعم الموارنة واليهود خصوصاً، مع مبالغة ضاعت في سياقها مصالح البشر وإراداتهم.

كان بنتيجة ذلك أن قضى عرب المشرق مائة عام يشتمون سايكس وبيكو، وقضى الكرد وقتاً أقلّ يقومون بالشيء ذاته ولو باستمرارية أكبر. فتحسب الطائفتان أن مصيراً عظيماً راح عليهما، وتصبحان" ضحيتين" عاجزتين عن تصنيع الخيارات وخلقها على أرضية واقعية وحديثة.

انتهى الأمر منذ زمن طويل، ولا بدّ من ترك الرجلين بأمان في قبريهما، لأنهما لم يقوما إلّا بما كانت القوى العربية تقوم به قبلهما تحضيراً لنهاية تلك الخلافة، وربّما القوى الكردية لو كانت قد ظهرت

بعد بالقوة الكافية. وآن لنا احترام آثار تلك المرحلة وواقعيتّها، وإلّا سيضيع قرن آخر، أكثر تسارعاً ودراماتيكية بشكل هائل.

وربّما يكون" الحفاظ" على ما يُسمّى بحدود سايكس- بيكو حلم هذا الموسم من الكوارث والكفاح، وللكرد أن يستفيدوا على الأقل من قوة المثال وبعض تفاصيله.

- الثوابت والمتغيّرات:

عانى العرب السوريون بقوة من ثوابتهم، التي عقلت أيديهم وأرجلهم عن القيام بما هو ضروري للحاق بالأمم الأخرى. وتركّزت تلك الثوابت في مسائل" الأمة العربية" الخالدة، ووحدتها، ومجدها التليد، وقضاياها الكبرى (ويفعل بعض الإسلاميين مثلهم الآن مع حلم يشطح حتى إلى" خلافة" و"سلطان"...وبالطبع كانت النتيجة تنحية المسائل الوطنية" المحلية"، وتقزيم النضال الديموقراطي وعدم الاعتناء بمنع الاستبداد من التحكّم بالمسار... وعاشت الأنظمة- وأهمها البعثي- الأسدي- بأمان كاد أن يصبح أبدياِ على إيقاع طبول الأمة الكبرى. ونعيش حالياً آثار ونتائج ذلك الانزياح الطويل الأمد، محرقة وهولاً ومصائر ممزقة.

وللكرد ثوابتهم، التي لا تسعف محتاجاً على طاولات الحوار والعقلنة.. وهم يعرفون جيداً تجارب الآخرين مع الثوابت ولطالما عانوا منها وسخروا أيضاً.. ولكنهم يبحثون بدأب عن خلق ثوابت خاصة وجديدة، وتابوهات مستخرجة من التاريخ والحكايات... والأساطير أحياناً. لا بأس بها في مكانها ووظيفتها، خارج الحوار

المجدي. فالكرد السوريون حقيقة قومية واقعية على الأرض، وسوريا كذلك، وحالة الاستبداد المستدام... بغضّ النظر عن تاريخ تلك المفاهيم وآثارها.

- الوطنية السورية:

هذا" حلم" أقرب إلى الواقعية حين نستخلص السحر منه، يمكن أن يكون جامعاً وسطاً. هو حلم حالياً لأن هنالك وهماً تنامى إلى جانبه مؤخراً في أن تعود سوريا كما كانت، وآخر مختلف عنه في الحفاظ على سوريا دولة مركزية موحدة لا تحقق شيئاً من طموحات الكرد كمجموعة قومية متماسكة مختلفة، ويقابله وهم تقسيم سوريا إلى دول ميكروية جديدة... حلم" اللا مركزية" حقيقي وممكن، يحتاج إلى ورشات شرعية وتمثيلية تتوصّل إلى أفضل شكل للدولة يحفظ مصالح الجميع ويستخلص ما تيسّر من حقوق الجميع.

وصل الكرد السوريون بخطى مختلفة، ولكن بما يشبه الإجماع بين القوى والنخب، إلى الاعتراف بانتمائهم السوري، وتقدّمه العملي على غيره، ولكن لا بدّ من الدفع بهذا الاتجاه من دون تلكؤ هنا وهناك، حسب حرارة الصراع والنكايات. فذلك يجمعهم مع العرب الذين يذهبون أحياناً إلى تعظيم صدام وتاريخه، وأردوغان وطموحاته، وكلّ ما يمكن أن يساعد علي قمع الحلم الكردي، والسلام الاجتماعي إلى جانبه.

الوطنية السورية تستطيع أن تساهم وتكون حدّاً جامعاً. فهنالك حاجة لدى الكرد والعرب للتفريق بين" القومية" و" الوطنية" بشكل من

الأشكال، ولو من خارج مفاهيم وتعاريف العالم الحديث الآخر. لأن تلك الحاجة توحد الطرفين خارج "مساطر" علم الاجتماع السياسي الثابتة والمتكررة.

- وهم الاستقواء بالاستبداد أو الغريب:

ما ينبغي للوطنية السورية أن تجتمع عليه هو الانتهاء من الاستبداد بشكل قاطع وإقامة دولة حديثة قائمة على المواطنة المتساوية للأفراد كلّهم، والحقوق الجمعية الداخلية في الوقت نفسه، وأكبرها حقوق الكرد القومية، إضافة إلى حقوق الجماعات الدينية والطائفية الأخرى، على النماذج الحديثة والقانون الدولي وشرعة حقوق الإنسان. وليس الجمع بين المسألتين بصعب على علم الاجتماع السياسي وتجاربه الحديثة المتنوعة.

لذلك سوف يبقى الموقف من النظام معياراً ورائزاً. فرغم أن الحوار ينبغي أن يكون أيضاً مع النظام للتوافق على الانتقال السياسي حسب القرارات الدولية، إلّا أنّ التوافق العربي- الكردي في مواجهة الاستبداد شيء آخر سابق لذلك ولا يتعارض معه. وفي هذا المجال، كان الكرد تاريخياً يستندون إلى" علمانية" النظام الاستبدادية، ويطمئنون إلى قدراته على قمع الآخرين، وينسون ما عانوه بأنفسهم منذ تقرير محمد طلب هلال والحزام العربي وحتى منع الكلام بالكردية في الجيش وأيضاً تصفية مجندين كرد عديدين لانتمائهم ذاك. أصبح الكرد الذين عانوا من" قومية" بعض المعارضة دائماً، ومن عنصرية بعض آخر واستنادها إلى تفوقها وحقها في الحكم على هذا

الأساس الفائت، وربّما لضعف يأنس بالقوي أو شيءٍ من" متلازمة استوكهولم" جمعية. حكايات محمد منصورة – والي الجزيرة الاستخباراتي البعثي-ما زالت في الذاكرة هنا، بمجالسه التي طالما ضمته مع تلك القوى ورجالاتها.

ربّما يكون هنالك دور حالياً لانزياح المعارضة السورية جزئياً بالاتجاه الإسلاموي، واعتبار النظام- كما تفعل بعض الدول والمجموعات الأخرى والمجموعات- أكثر علمانية وأماناً من الجحافل الإسلامية القادمة؟! تلك الميول قديمة وسابقة، ترى في النظام حليفاً محتملاً أكثر من غيره، يمكن الاستقواء به على تلك" الأكثرية" المتغطرسة. ذلك يعيد الكرد من "شعب" إلى" أقلية" ترى في الاستبداد ملجأها. وذلك وهم خطر وآثاره وخيمة في النتيجة والمآل.

ويأتي الاستقواء بالآخر، سواء كانت الولايات المتحدة أو الإقليم أو حزب العمال الكردستاني لدى الكرد، أو تركيا وغيرها من القوى الإقليمية الأقوى؛ أو النظام الأسدي؛ ليكون علّة أخرى ووهماً مخادعاً قد يكون الأكثر ضرراً وإساءة لاحتمالات مسار حواري ينتهي ببناء مقاوم للعواصف في المستقبل.

- وهم عودة بني عثمان أو هزيمة تركيا:

لدى بعض عرب سوريا- بين أصحاب العقلية الإسلاموية خصوصاً- أوهام بعودة الدولة الإسلامية الكبرى التي ستعيد المجد القديم من أبواب استنبول، وسيبدأ ذلك بالانتصار على الأسد والأمريكان والروس، وهم بذلك قد يفتحون باباً جديداً لرياح التقسيم والتفتيت.

وعلى الجهة الأخرى هنالك أوهام بإمكانية الانتصار على تركيا وهزيمتها نهائياً بقيادة حزب العمال الكردستاني صاحب القوة الخارقة وزعيمه الأسطوري السجين (فكّ الله أسره)... ويعزّز وهم استدامة الدعم الأمريكي لهزيمة داعش ذلك الوهم بإمكانية الانتصار على تركيا. لا يأخذ أصحاب تلك الأوهام العبرة مما يتطوّر على الأرض، وكيف تتم حياكة المسار بشكل مجدول، لا يهمل حقيقة مراكز القوى والعوامل الأكبر حجماً مما نراه نحن مباشرة (الولايات المتحدة مثلاً) غير موحدة أولاً وقصيرة الأمد في سياساتها ثانياً، ولا تتصرّف بمعزل عنم الآخرين ثالثاً.

- حق الشعوب بتقرير مصيرها مبدأ وحلم مشروع.. وهو وهم أحياناً. هو مبدأ ثابت ضمنته الأمم المتحدة في ميثاقها، حتى صار جزءاً مهماً من القانون الدولي والعلاقات الدولية. والشعب الكردي يستحق هذا الحق من دون شك.. ولكنّ شياطين كثيرة تختبئ في طيّات ذلك الحق.

فهنالك حق تقرير مصير "خارجي" يتطابق مع الحق بالانفصال أو الاستقلال أو الوحدة؛ وحق تقرير مصير "داخلي" استقرّ على الحق بالحكم الذاتي أو الإدارة الذاتية ضمن دولة موحدة لا مركزية أو فيدرالية بهذا الشكل أو ذاك.

وقد مرّت على الكرد تجربة مؤلمة يوم الاستفتاء الكردي- العراقي على الاستقلال، وكيف كان مصيره السريع، ويحتّم هذا الواقع النظرة الواقعية إلى الجو الدولي الذي نشأ بعد الحرب الكونية الثانية، وكيف

توصل العالم تدريجياً إلى حالة من احترام الحدود القائمة ونبذ أي تغيير فيها سوف تنتج منه مشاكل تُضاف إلى مشاكل العالم وتوتّراته.

ينبغي لهذه الروح العملية رغم آلامها أن تكون أمام أعين العرب والكرد عند مباشرة حواراتهم في العمق، يومَ تدور دورتها.

ما ورد أعلاه ليس نقاطاً جامدة، ولا مبادئ يمكن فرضها، ولا حقائق علمية أو تاريخية ثابتة؛ بل هي مجرّد تهويمات ومحاولة لتدبّر الأمور. هي مجرّد" مسّاج" قد يساعد على الدخول باسترخاء إلى" حمّام" الحوار. فالحوار ينبغي ألّا يتأخر أبداً بعد الآن، ولن يعوض عنه أي كرنفال إيديولوجي الدوافع لخدمة خط من الخطوط بطريقة محاربة، بدلاً من الدخول إلى غرف مفتوحة النوافذ، والإقلاع عن الانزواء في غرف مسبقة الصنع فاسدة الهواء، تعتمد على عقلية المؤامرة أكثر مما على المصلحة الوطنية الجامعة.

لحلّ المسألة الكردية علاقة سببية بحلّ المسألة السورية، وربما هي ليست بتلك الصعوبة، خصوصاً بعد ارتدادات الثورة التي مالت بمواقف أغلبية القوى والمشتغلين بالحقل السياسي من غير الكرد، نحو الاعتراف الدستوري بوجود الشعب الكردي، والاقتناع بأن" تعريب" كافة السوريين أصبح من أوهام الماضي، والمساواة في الواجبات والحقوق والإقرار بالتعددية بعيداً عن مفهوم الأكثرية غير السياسية وفرضها على الحقل السياسي.. وذلك كله أصبح أخفّ وقعاً على آذان السوريين، ربّما بتأثير من تجربة الألم الرهيبة المستمرة.

وأعتقد في هذا المجال، وليعذرني أصدقائي العروبيين- أن طموح معظم السوريين حالياً هو في إعادة تأسيس "الجمهورية السورية" من جديد.. لعلّهم بذلك يستعيدون طمأنينة مفقودة.

××××××

المواطن الكلب مدعواً إلى الحوار العربي الكردي!

الأستاذ: إبراهيم العلوش

مهندس مدني، كاتب وروائي من الرقة

قد يبدو العنوان قاسياً ولكن لقب "المواطن الكلب" هو الوصف الصحيح للمواطن في بلادنا من قِبل مسؤولي المخابرات والجيش،

والأحزاب، والموظفين، الذين يتوقعون بأن المواطن خائن، وعميل، ولا يحب القائد المعجزة حامي الحمى والأفكار، وكذلك من قِبل رجال الدين المتشددين الذين يتوقعون أنه كافر أو مرتد ولا يركنون إلى توسلاته الكاذبة، وهو الوصف الصحيح من قبل أبناء العشائر لمنافسيهم من العشائر الأخرى، وهو الوصف المتبادل بين حاملي لواء القوميات ضد بعضهم البعض، بالإضافة إلى النكهات المحلية المضافة إلى صفة "المواطن الكلب" مثل هربجي وحرامي الدجاج أو ماسحي الأحذية، أو عملاء وقبضايات الأمريكان أو عملاء أردوغان!

المواطن الكلب هو الوصف الثابت الذي يعتمده أبناء طائفة دينية ضد أبناء الطوائف الأخرى، وضد أتباع المذاهب الأخرى، وهو الوصف الأكيد المتداول من قبل السلفيين ضد الصوفيين مثلاً، وهو الوصف البليغ بين أتباع الأحزاب السياسية المتناحرة، ومن الطبيعي أن يقول الماركسي إن البعثيين كلاب، والعكس بالعكس، رغم أنهما يحملان السلاح معاً لحماية بشار الأسد، ويمارسون التعذيب كجلادين في معتقلاته، ولا تستغرب أن يتداول هذا اللقب أعضاء الأحزاب بين بعضهم البعض في التكتلات الحزبية مثل أن يقول أتباع (فلان) عن أتباع (علان) إنهم مجرد كلاب يلعقون حذاءه!

وهكذا نجد أنفسنا أمام مستنقع هائل من الألقاب المتبادلة، والتي يلخصها وصف "المواطن الكلب" الذي تم زرعه في آذاننا من قبل معلمينا في المدارس، ومن قبل أخوتنا وأبناء أقاربنا الذين يكبروننا بالسن، ومن قبل الشرطة، والموظفين الحكوميين حتى ولو كانوا من أقاربنا ومن معارفنا، وكانت الرشوة هي السبيل الوحيد لصدّ هذا

اللقب البغيض عن آذاننا، فالموظف يبتسم لك ويتخلى عن شتيمته مجرد أن يرى قطعة النقود مع أوراق الاضبارة، وكان عنصر المخابرات يرشدك إلى ما يجب أن تقوله له من أجل أن تتجنب الاستدعاء إلى المفرزة، أو إلى الفرع، أو إلى العاصمة، وكل تهمة بوزن، وبمبلغ مالي يعادل وزنها!

مع بدء الثورة السورية ٢٠١١ التي تعيد تشكيلنا اليوم، حصل التقارب الكبير الذي حصل في بدايتها بين السوريين، وكان اسم جمعة آزادي من أجمل التسميات التي تقارب بين العرب والأكراد، واسترجع النشطاء السوريون الخطأ الكبير الذي ارتكبوه بعدم الاستفادة من ثورة ٢٠٠٤ في الشمال السوري التي عتّم عليها النظام حتى سحقها ماهر الأسد، وكان صوت مشعل التمّو في ثورة ٢٠١١ من أعلى الأصوات المنادية بالحرية للسوريين، وستظل ذكراه رمزًا عزيزًا على السوريين جميعاً!

ولكن مع توحش النظام اندلق المخزون الكارثي للألقاب المخزية، وأصبح علنيًا ورسميًا وكان مشهد "بدكن حرية" الذي يقوم فيه أحد العسكر من أزلام بشار الأسد بعفس مواطن بحذائه العسكري ويردد مستنكراً: بدكن حرية!! مشهداً معبراً عن كل ما يجري تداوله من البراميل المتفجرة والتعذيب حتى الموت في المعتقلات، لقد خرج المارد الطائفي والنازي البعثي بكل ما يمتلك من التراث الهتلري وصار لقب "المواطن الكلب" كلاسيكيًا ولطيفًا أمام صياح الجلادين في المعتقلات، وأمام انفجار البراميل والصواريخ في المدارس وفي المستشفيات!

وجاءت فاشية داعش لتكمل ما بدأه النظام من وحشية، وكان لها نكهة بعث العراق الصدّامي مع الجلافة الصحراوية ونكهة البترودولار التي أضفتها الوهابية عليها، وبدأت تفترس الجميع في استغلال ديني واسع يحاول إعادتنا إلى القرون السالفة لنأكل الشعير ونركع عند قدمي الخليفة حامي الدين، وحامي الشرف، ورافع لواء الجهاد، ليفتح روما عبر مفرق (مرج دابق) وصولاً إلى إسطنبول ولاحقاً إلى فتح روما!!

بالمناسبة قامت داعش بتغيير لقب المواطن الكلب إلى ألقاب العوام والمرتدين والكفار، رغم أنها استعملت نفس طرق نظام البعث في التعذيب، وفي نشر المخبرين، وتشليح الناس أملاكهم بشتى التهم الجاهزة، ولابد هنا من توجيه التحية إلى روح نيسان إبراهيم الفتاة الكردية العنيدة التي ظلت في الرقة مع النشطاء الرقاويين والسوريين الشجعان الذي ساهموا بهزيمة داعش، ولا يزال أهالي فراس الحاج صالح وإسماعيل الحامض وعيسى الغازي ومئات غيرهم ينتظرون أحباءهم المخطوفين من قبل مجرمي داعش، بالإضافة إلى التحية لأكثر من ١٢٠٠ شهيد أعدمتهم داعش في ساحات القتل، ورمت جثثهم في "الهوتة " التي تقع قرب بلدة حمام التركمان شمال الرقة.

هربنا من وطن المواطن الكلب والتقينا في تركيا بالانتظار من أجل العبور عبر اليونان إلى أوروبا عرباً وأكراداً وتركماناً مسلمين وغير مسلمين فارين من مستنقع التهم والألقاب، تاركين بيوتنا وشقاء العمر للمجهول، لم نعد نحتمل تبدلات المشاهد المسرحية التي يتناوب على تمثيلها أصحاب المعالي، والسيادة، والرفاق، والشيوخ، ولم نعد نحتمل

الأحلام العظيمة كتوحيد الأمة العربية من المحيط إلى الخليج، وقيام كردستان في أربع دول دفعة واحدة، أو العودة إلى زمن ابن تيمية وفتاويه العدوانية ضد البشر!

أثناء تدفق السوريين، عرباً وأكراداً ومن كل الألوان، إلى اليونان قابلت كردياً سورياً في سوق الخضار في مدينة أورفا باركت له انتصار البشمركة على داعش وطردها من كوباني عين العرب، التفت إليّ باعتزاز، وابتسم وقال نحن الأكراد شجعان ولسنا جبناء مثلكم! ورغم معرفتي بأنه هارب مثلي وكلامه مجرد أعراض لمرض استخدام ألقاب المواطن الكلب، فقد تركته يبحث عن بندورة وباذنجان بسعر أرخص، وينتظر تقلبات المسرحية السورية التي ما تزال تتوعد الجميع بأهوالها!

ولكن الأكراد في أورفا التركية الذين يؤلفون حوالي ٦٠ بالمئة من المدينة، كانوا أكثر انفتاحاً، وأقل ضجيجاً قومياً، وأكثر دبلوماسية منا نحن السوريين القادمين من وطن "المواطن الكلب"، ورأيتهم أيام احتلال كوباني عين العرب يساعدون العائلات بتنظيم وبصمت، وقد قال لي أحدهم يوم محاولة الانقلاب العسكري في تركيا ١٥ تموز ٢٠١٦ إننا نقف مع أردوغان ضد الطغمة العسكرية، لأن تجربتنا مع العسكر كانت أليمة، وكان المواطنون يُضربون في الشارع، وكانت الصلاة شبه ممنوعة، وإمام المسجد يجب أن يلبس طقماً غربياً، وعصا الموظف الرسمي تهشّم أكبر رأس واقف في الطابور. بينما ما يزال الكثير من أكراد سوريا يعتبرون كل من لجأ إلى تركيا من العرب هو أردوغاني، ولكنهم يعفون اللاجئين الأكراد من هذه التهمة

الشاملة لأربعة ملايين إنسان، وهذا هو نفس منطق نظام الأسد في التخوين!

أما عرب أورفا فممزقون بين الفوضى وعدم الإيمان بالذات بعيدًا عن التهويمات القومية التي لا تعني لهم أكثر من شرب القهوة العربية والحفاظ على اللهجة، ووحدهم المتدينون منهم قد اشتركوا مع الأتراك والأكراد وقاموا بمساعدة السوريين في بدايات اللجوء وضمن المؤسسات الخيرية التركية شديدة التنظيم إلى درجة مدهشة وتثير الإعجاب، وقد استفاد منها السوريون جميعاً من عرب وأكراد وتركمان ومن مختلف المذاهب!

وصلنا إلى أوروبا ووجدنا أنفسنا في عالم آخر لا يعترف بلغتنا ولا بقومياتنا إلا كديكور تراثي، ووجدنا صغارنا لا يفهمون علينا، ولا نفهم عليهم لأنهم يكتسبون معارفهم بلغات جديدة، لم نستطع إتقانها نحن القادمين بعمر كبير من وطننا الذي وصمنا بصفة "المواطن الكلب". نحن هجرنا بلادنا وهاهم أولادنا قد يهجرون لغتنا وماضينا.. في سبيل الخلاص!

وعندما أسأل نفسي لماذا خضعنا لكل هذه القسوة، لا أجد جواباً إلا أننا لم ننظر إلى بعضنا البعض كبشر أحرار، وإنما ككائنات قومية أو أيدلوجية أو مذهبية، وقد نكون مثل الدواعش نعيش في كهوف ومغارات مظلمة، ولعل ظلام هذه الكهوف العمياء واستحالة الحوار فيها، وأمراضها الفكرية قد أوصلتنا إلى هذه النتيجة العنيفة!

وجدنا أيضاً أن الناس في أوروبا لهم ذات الوزن وذات المكانة، ويخاطبونك باحترام حتى ولو كانوا من أنصار اليمين، وتفاجأنا بأن المسؤول يركب البسكليت وليس "المرسيدس بنز"، التي تحلو للمسؤولين في بلدنا، الذين يبيعون ضمائرهم من أجل أن يستلموا سيارة فخمة، أو من أجل أن يركبوا مع مسؤول يستعرض إمكاناته وهو يتجول فيها. ولا يقوم المسؤول الأوروبي بالزعبرات القبلية أو الطائفية وسط زعرانه ومحازبيه، فهو مجرد مواطن له ما له، وعليه ما عليه!

الآن عرفنا حجم المستنقع الذي كنا فيه، وحجم الحقد المتبادل بيننا وقسوة الألقاب التي نتداولها بيننا فهل نستطيع أن نتحاور؟

يجب أن ينطلق الحوار بيننا اعتباراً من حق الاعتراف بنا كبشر نأكل ونشرب ونذهب إلى المرحاض، ونقول ما يخطر ببالنا، قبل أن ندخل إلى فصل الأيدولوجيات العظيمة والأهداف التاريخية المجيدة، يجب أن نعرف بعضنا أولاً كبشر يحلمون بقول ما يريدون خارج سلطة رهبان الدولة البوليسية وخارج سلطة رجال الدين المتعنتين، وخارج سلطة العصابات المسلحة التي تحمل آلهة التمر القومية أو الاشتراكية وتأمرنا بعبادتها، وكذلك خارج الألقاب المهينة..

يجب ألا ننسى المصائب التي حلّت بنا، وألا نتساهل مع مرتكبيها اعتباراً من جرائم النظام التي دمرت الخريطة السورية، مروراً بجرائم داعش في تدمير المدن والقرى وترحيل أهلها مثل أكراد الشمال وقبيلة الشعيطات قرب دير الزور، والتحقيق في الجرائم التي

ارتكبت في كوباني عين العرب و إعادة إعمارها كمحطة للاهتمام بإرادة الناس وقدرتهم على البناء وصد المجرمين، وصولاً إلى تدمير الرقة الذي كسر قلوب مئات الألوف من أبنائها بسبب المعارك بين داعش والقوات التي اقتحمتها، ومحاسبة كل من تعمد التدمير أو قصّر في واجبه في حماية الناس، ليتسبب مع غيره بقتل أكثر من ستة آلاف من أهالي الرقة ولاجئيها بالإضافة إلى تدمير ٨٠ بالمئة من المدينة، علماً بأن الاتفاقات مع داعش والأطراف المتحاربة من عرب وأكراد وأمريكان كانت ممكنة وتم تنفيذها في العديد من المدن الأخرى مثل الطبقة ومنبج دون أن تصاب بكل هذا الدمار المروّع الذي ما تزال متروكة فيه دون تعويض على أهلها المنكوبين!

ولابد من إعادة الاعتبار للإنسان وعدم وصمه بصفات عنصرية وعدم تحميل الأبناء وزر جرائم آبائهم أو من ينتمي إلى قوميتهم أو إلى مذهبهم الديني أو الأيديولوجي، وحتى أبناء الدواعش يجب ألا نصمهم بتلك الوصمة التي تدفعهم لتكرار ما فعله آباؤهم من جرائم، يجب أن نقبلهم كبشر وأن نحترم إنسانيتهم ونحاكم من ارتكب جريمة منهم، وأن يتم التحقيق بمجازر الباغوز التي تسببت بها كل من داعش والقوات المهاجمة حسب تقارير الأمم المتحدة، يجب أن نرتفع عن الأحقاد لكي لا نصنع دواعش جدد ولا شبيحة جدد يدمرون بلادنا من جديد بعد عقد أو عقدين من الزمن!

نحن الذين كنا نحمل لقب "المواطن الكلب" أعدادنا هائلة ومن الممكن أن نشكل وزناً ليس قليلاً في معادلات الحوار وإعادة السلام والتعايش بين أهالينا وأقوامنا، وبدوننا لن يجد المسؤولون الحزبيون والدينيون

والعشائريون جمهوراً لهم، فهل تزيلون عنا الألقاب المخزية هل ترضون أن تكونوا مجرد بشر مثلنا؟

لا اريدك أن تصبح عربياً ولا أريد أن أصبح كردياً ولكننا نريد أن نعيش كبشر ونتعلم ونستمتع بالحياة كمواطنين أحرار، لا نعبد الأسد، ولا خليفة داعش ولا أبطال الخزعبلات الطوباوية، وأن نحترم بعضنا خارج الأهداف العظيمة والعقائد الأسطورية التي سحقت كرامتنا بالدمار و بلقب "المواطن الكلب"!

لا نريد توحيد قصة ممو زين مع قصة قيس وليلى.. ولكن نجاح لغة الحوار بيننا، ولو بشكل نسبي، سيمّكن الأجيال القادمة من بناء قصص حب أجمل وأكثر انفتاحاً من حكايات الأقوام المنغلقة على نفسها، خاصة وأن أجيالنا القادمة ستعيش في عالم مفتوح وغير آبه بنا إذا لم نلحقه وننتمي إليه!

××××

حوارات

الدكتورة سميرة مبيض تتحدث للحوار

الدكتورة سميرة مبيض: *باحثة في العلوم الإنسانية والبيئية*

عضو اللجنة الدستورية السورية

الحوار: تعود العلاقات العربية – الكردية بجذورها إلى عهود قديمة، إلى ماذا تحيلين ضعف هذه العلاقات على صعيد النخب السياسية والثقافية في الزمن المعاصر؟

د. سميرة مبيض: يعود تراجع العلاقات العربية الكردية وضعفها اليوم الى هيمنة طويلة الأمد لتيارات سياسية لا تتبنى العمل والبناء المشترك، فقد هيمن تيار حزبي قومي يعمل على ترسيخ مفهوم الهوية الشمولية والتي بدورها تعيق أي حوارات تعتمد على أسس الهوية التعددية السليمة أو تعززها. كما أن إحدى أهم أدوات استمرارية النظم الشمولية هي في ترسيخ التفرقة السياسية وذلك ما كان مُتبعاً في سوريا على الصعيد القومي ولكن أيضاً المذهبي فكانت فرص الحوار وأدواته وإطاره السياسي والاجتماعي شبه معدوم وامتد ذلك ليشمل عقد الثورة المنصرم حيث برزت الترسبات السلبية لهذه الممارسات التفريقية طويلة الأمد في خطاب كلا الطرفين العربي والكردي وساهم بذلك التدويل الذي طال الصراع السوري والتبعية السياسية التي نجمت عنه وتأثيرها على الحوارات السورية بين معظم النخب الثقافية والسياسية.

لكن عمق العلاقة المشتركة بين العرب والكرد ومكونات المنطقة المختلفة من الآشوريين، السريان، الكلدان والتركمان والأرمن والشركس تعود لعوامل صلبة أهمها الثقافة المشتركة المرتبطة بإطار مكاني وتاريخي واحد وكذلك والأهم المستقبل والمصالح المشتركة وهي مرتكزات تكفي لبناء حوار سليم وسوي بعيداً عن انحرافات تيارات الهيمنة والشمولية السابقة.

الحوار: لقد تمت الدعوة الى حوارات كردية – عربية سياسية في المقام الأول، وذلك منذ عدة عقود، لكنها لم تستقم ولم تنتعش بما يتوافق مع ضروراتها السياسية والثقافية، برأيكم هل هذا الفتور يخص العلاقات العربية – الكردية أم أنها حالة عامة تخص كل الشرائح والمكونات السورية، وبالتالي هل نفتقر إلى ثقافة الحوار؟

د. سميرة مبيض: الحوار هو ثقافة تُكتسب وتعزز إيجاباً في حال وجود العوامل التي تبنيها وأهمها الثقة المتبادلة بين الأطراف المتحاورة، هذه الثقة هي عامل مفقود بين معظم الشرائح والمكونات السورية وليس فقط ضمن الحوار السياسي العربي الكردي، حيث لا زال عامل التوجس وفقدان الثقة والرغبة بهيمنة جهة على أُخرى هو السائد بين الاطياف السورية، وذلك نتيجة بديهية لسيادة ثقافة التخوين والاتهامات والتغوّل في الحقبة السابقة ومعالجة هذا القصور في آليات ولغة الحوار بين السوريين يكمن بالانطلاق من أهداف واضحة بأن بناء سوريا المستقبل يستثني جميع التوجهات الاقصائية والإلغائية للآخر.

يمكننا التأكيد أنه من غير الممكن الضلوع بهذا الحوار إلا لمن يستطيع تجاوز هذه الحالة السلبية نحو البناء الإيجابي لثقافة الحوار ولمخرجات عملية تطبيقية وفاعلة لها للنهوض بسوريا

وطن لجميع أبنائه وبناته ومكان آمن لأجيال المستقبل يتفادى توريث الصراعات والاضطرابات إلى ما لانهاية.

الحوار: كيف يمكن أن ننشط ونفعل الحوار العربي – الكردي، ولأي حقل أو مسار من مستويات الحوار تعطون الأولوية؟

د. سميرة مبيض: أعتقد أن تنشيط وتفعيل الحوار العربي الكردي يعتمد على احياء النقاط التالية:

١) تثبيت سردية مشتركة تعترف بالظلم الواقع على السوريين في ظل حقبة قمعية طويلة الأمد والأثر

٢) الانطلاق بالحوار من المستويات المحلية تدريجياً نحو المستويات الأوسع جغرافياً

٣) الانطلاق بالحوار من منطلقات مشتركة تهدف نحو بناء الاستقرار وتحقيق العدالة بشكل حيادي تجاه أي مرجعية قومية

٤) تثبيت التوافقات الناجمة عن أي حوارات عبر وثائق ومواثيق مشتركة تسمح بالتقدم باستمرار وصولاً للأهداف.

٥) تحييد أي تأثيرات خارجية على المتحاورين والتي قد تهدف لتحقيق مصالح بعيدة عن مصالح السوريين واستقرارهم.

الحوار: التحالفات العربية – الكردية المعاصرة باتت مسألة استراتيجية، ما هي المقترحات والحقول التي ينبغي أن تكون موضوعا لهذا التحالف أو التنسيق كحد أدنى؟

د. سميرة مبيض: المحاور التي تشكل مرتكزاً هاماً لبناء التحالف والتنسيق العربي الكردي تتعلق برأيي بالمواضيع التالية:

١) التوافق على صياغة دستور سوري جديد مؤسس للدولة السورية الحديثة بما يضمن بناء دولة القانون والدستور والمواطنة.

٢) التوافق على مفهوم الهوية السورية الجامعة القائمة على أسس التعددية والتنوع السوري.

٣) التوافق على شكل نظام الحكم بتبني نظام لا مركزي موسع يقطع مع الحالة الشمولية.

٤) التوافق على الخطوط العريضة لعلاقات سوريا المستقبلية مع الدول الإقليمية والقوى العظمى.

الحوار: هل ثمة إمكانية، وفرص لتوسيع الحوار العربي – الكردي في سوريا حتى يشكل مدخلا وأرضية لحوار وطني سوري شامل؟

د. سميرة مبيض: بالتأكيد إن تحقيق الأرضية المُشتركة على الصعيد الكردي العربي ستكون إحدى بوابات للانطلاق من المبادئ المتوافق عليها نحو حوار سوري شامل يحقق العدالة للجميع وذلك يحمل مسؤولية مضاعفة ومشتركة لجميع الأطراف المعنية بالحوار بكونها إحدى الخطوات الهامة التي تؤسس للرؤية السورية المشتركة.

الحوار: ما هو الخطاب أو الكلمة الأخيرة التي تودين توجيها إلى قراء مجلة الحوار...

د. سميرة مبيض: أذكر نفسي وجميع السوريين عبر منبر مجلة الحوار أن بناء سوريا الجديدة سيعتمد على إعادة بناء الإنسان السوري بالدرجة الأولى، أي تجاوز الآثار السلبية في المجتمع والتي أدت إلى ما وصلت إليه سوريا من تقهقر على كافة الصعد وذلك يبدأ بالحوار الجوهري البعيد عن أي تزييف ومحاباة فحق سوريا بالحياة ومصلحة السوريين ومستقبلهم هي الهدف الأسمى الذي يجمعنا.

٢٠٢١/٠٤/٢٣

دراسات:

عقد الجمان في تاريخ ناحية الزوزان: موقعها، حدودها، وقلاعها

دلدار ميتاني

باحث وناشط سياسي

تمهيد

لدى مراجعة المصنفات الجغرافية لفترة العهود الاسلامية للبحث عما يخص جغرافية كردستان ومن ضمنها إقليم بوتان تحديداً صادفنا في كثير من المرات ذكر لاسم ناحية / بلد الزوزان.

ولأهمية موضوع كان لابد من البحث والمتابعة لمعرفة موقع وحدود هذا البلد (بلد الزوزان) وعما يحتويه من قلاع وحصون ومعلومات.

ورد ذكر اسم (بلد الزوزان) وأحياناً بصيغة (ناحية الزوزان) عند العديد من البلدانيين والجغرافيين العرب والفرس أمثال: ابن مسكويه (٩٣٢- ١٠٣٠م) في كتابه (تجارب الامم وتعاقب الهمم) والمقدسي البشاري (٩٤٥-٩٩٠م) في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم). والإدريسي (١١٠٠-١١٦٦م) في (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) وابن الأثير (١١٦٠-١٢٣٣م) في (الكامل في التاريخ)، وياقوت الحموي (١١٧٨-١٢٢٩م) في (معجم البلدان).

موقعها وحدودها

كانت ناحية زوزان تشمل كامل اقليم بوتان (شرناخ، سيرت، هكاري) ومنطقة نصيبين الى جنوب بحيرة وان وحتى الساحل الغربي لبحيرة وان عند مدينة خلات. حدد ياقوت الحموي (١١٧٨ -١٢٢٩م) موقع وحدود بلد الزوزان حيث نقل عن صاحب الفتوح وهو الواقدي (٧٤٧-٨٢٣م) وعن ابن الأثير الجزري (١١٦٠-١٢٣٣م):

زوزان: بفتح أوله وثانيه ثم زاي أخرى، وآخره نون: كورة حسنة بين جبال أرمينية وبين أخلاط وأذربيجان ديار بكر والموصل، وأهلها أرمن وفيها طوائف من الأكراد؛ قال صاحب الفتوح لما فتح عياض بن غنم الجزيرة وانتهى إلى قردى وبازبدي أتاه بطريق الزوزان فصالحه عن أرضه على إتاوة، وذلك في سنة ١٩ للهجرة؛ وقال ابن الأثير: الزوزان ناحية واسعة في شرقي من جزيرة ابن عمر، و أول

حدوده من نحو يومين من الموصل إلى أول حدود خلاط وينتهي حدها الى أذربيجان إلى أول عمل سلماس، وفيها قلاع كثيرة حصينة، وكلها للأكراد البشنوية والبختية فمن قلاع البشنوية قلعة برقة وقلعة بشير، وللبختية قلعة جرذ قيل، وهي أجل قلعة لهم، وهي كرسي ملكهم، وآتيل وعلوس، وبإزاء الحراء لأصحاب الموصل ألقي وأروخ وباخوخه و برخو وكنكور و نيروه وخوشب (١).

□ قلاع ناحية الزوزان.

يذكر الواقدي (٧٤٧ - ٨٢٣م). أسماء مجموعة من قلاع والحصون حيث يقول: كان الحر بن صالح، تحت يده من القلاع: كواشي، الزعفران، وقلعة قفيز ودربيس وقلناس وببلون وأنشان واسطون، وابدا وجل والمنظوره وطماري وبان وكوكب، والسندية والدير وبابشرى باكوكا، وباشهر والشريفة (٢).

١- قلعة كواشي

ورد اسم القلعة عند أبي عبدالله الواقدي (٧٤٧ - ٨٢٣م) في معرض حديثه عن وصول طلائع جيش الاحتلال العربي الاسلامي الى جبل جودي بقيادة عياض بن غنم (؟-٦٤١م) يقول: فلما نزل عياض عليها وزار هو ومن معه جبل الجودي وموضع السفينة ، وكان بجنبها أخباث كثيرة فكانت أهل تلك البلاد تنزح الأخباث ، وكان ملكها الجزيري صالح فأجاب وأطاع وكان يسكن بعاديا ، وكانت تحت يده كواس (٣). والزعفران وقفيز ودربيس وأماكن كثيرة...

ورد اسم عند الاستاذ عبدالعزيز فياض حرفوش في تحقيقه لكتاب (تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق) بصيغة كواشي (٤) وكتب في هامش الصفحة: كواشي: هي قلعة آروشت قرب جزيرة ابن عمر شرق دجلة على جبل الجودي وهي حصينة / مراصد الاطلاع.

اما ابن عَبْد الْحَقّ (١٢٦٠ - ١٣٣٨ م) يقول عن القلعة ما يلي:

كواشى: بالفتح وشينه معجمة قلعة حصينة بجبال شرقي الموصل ليس لها طريق لغير رجل واحد، كم أنه قديماً تسمى أردمشت (٥).

٢- قلعة فنك

موقع أثري مشهور في شمال مدينة جزيرة بوتان وتعرف اليوم عند الأهالي بخرائب فنك وكان من مصايف أمراء بوتان البدرخانيين، ترد ذكرها في الأغاني الشعبية الكردية وهو موقع أثري قديم ورد ذكرها عن ابن الأثير الجزري (١١٦٠-١٢٣٣م) وياقوت الحموي (١١٧٨-١٢٢٩م).

يقول ابن الأثير: سير أتابك زنكي جيشا إلى قلعة فنك وهي تجاور جزيرة ابن عمر بينهما فرسخان فحصرها أيضا وصاحبها حينئذ الأمير حسام الدين الكردي البشنوي. (٦). أما ياقوت الحموي (١١٧٨ -١٢٢٩م) فيذكر عن فنك مايلي:

فنك أيضاً قلعة حصينة منيعة لأكراد "البشنويّة قرب جزيرة ابن عُمر ولا يقدر صاحب الجزيرة ولا غيره - مع مخالطتهم للبلاد - عليها،

وهي بيد هؤلاء الأكراد منذ سنين كثيرة نحو الثلثمائة سنة، وفيهم مُرُوّة وعصبية، ويحمون من يلتجئ إليهم، ويُحسنون إليه (٧).

٣- **قلعة بشير**: من قلاع البشنوية الأكراد من نواحي الزوزان (٨)

٤- **برخو**: بالفتح، قلعة من قلاع ناحية الزوزان لصاحب الموصل (٩).

٥- **باخوخا**: بخاءين، قلعة من أعمال الزوزان لصاحب الموصل (١٠)

٧- **قلعة ألقي:** ألقي حالياً أسم منطقة إدارية جبلية بالكامل وشديدة الوعورة تتبع محافظة شرناخ - إقليم شمال كردستان - وتعرف اسم المنطقة في اللغة الكردية (Elkê). ورد ذكرها عند ياقوت الحموي (١١٧٨ -١٢٢٩م): ألقي: بالفتح ثم السكون، وكسر القاف، وياء: قلعة حصينة من قلاع ناحية الزوزان لصاحب الموصل (١١).

ما معنى الاسم (Elkê) في اللغة الكردية؟

لم نعثر على شيء يخص الاسم في القواميس الكردية، ولكن أنا أعتقد أن (Elkê) أصلها من اسم (Elî) والكرد في منطقة بوتان وكثير من مناطق كردستان يلفظون اسم (علي - Elî) بصيغة (Elk) مع حذف حرف (î) لتخفيف وسهولة اللفظ و تستخدم (kê) لاحقة لغوية تفيد في صياغة الاسم و المعنى و أحياناً لدلالة على موقع أو مكان جغرافي.

٨- **الجديدة:** بلفظ التصغير الذي قبله: اسم لقلعة في كورة النهرين التي بين نصيبين والموصل غالباً، وهي قلعة حصينة جداً، وأعمالها

متصلة بأعمال حصن كيفا، ولها قرى و مزارع و أكثر زروعهم العذي (١٢)

٩- قلعة خوشآب

لوحة تمثل قلعة خوشاب سنة ١٦٤٣ م

قلعة شامخة تقع على هضبة قرب الطريق العام الرابط بين محافظة وان - هكاري. **وخوشآب** اسم كردي معناه «الماء العذب»، وهو بنفس الوقت أسم لقرية ونهر صغير يصب في بحيرة وان. ورد ذكر القلعة عند الحموي: خوشب: من قلاع ناحية الزوزان (١٣).

١٠- **آتيل:** قلعة بناحية الزوزان من قلاع أكراد البختية معروفة عن عز الدين أبي الحسن علي بن عبد الكريم الجزري (١٤).

١١- **باز الحمراء:** قلعة من نواحي الزوزان التي للأكراد البختية (١٥).

١٢- **قلعة قيمر:** القَيمُرية قبيلة كبيرة ومعروفة منذ العهد الأيوبي وعرفت باسم قلعتها قَيمُر وهي مقر أمرائها وعاصمة إمارتها الوراثية، ولم تكن قلعة قَيمُر والقبيلة القَيمُرية المنسوبة اليها معروفة حتى أيام الأيوبيين، على الرغم من الشهرة التي نالتها في العهود اللاحقة (١٦)

حدد ياقوت الحموي (١١٧٨-١٢٢٩م) موقع قلعة قيمر بين الموصل وخلات. **وخلات** تقع على الساحل الغربي لبحيرة وان قرب جبل سيپان في محافظة بدليس.

قيمر: بفتح القاف، وياء ساكنة، وضم الميم، وراء: هي قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط؛ ينسب إليها جماعة من أعيان الأمراء بالموصل وخلاط وهم أكراد، ويقال لصاحبها أبو الفوارس (١٧) إلا أن المؤرخ صلاح الدين الصفدي (١٢٩٦-١٣٦٣م) حدد موقع قلعة قيمر بشكل أدق وحدد موقعها قرب سيرت في معرض حديثه عن الزعيم القيمري عماد الدين: عماد الدين القيمري، علي بن عيسى بن علي بن يوسف.

الأمير عماد الدين بن الأمير ناصر الدين بن الأمير سيف الدين أبي الحسن بن الأمير أسد الدين ابن أبي الفوارس القيمري الكردي بن صاحب قلعة قيمر. بطل الخدمة وأقام بالجبل مدة وتوفي بالنيرب سنة إحدى وثمانين وستمائة، ودفن بتربة جده سيف الدين تجاه مارستانه بالجبل وقلعة قيمر بقرب اسعرد (١٨).

١٣- قلعة نيروه: تقع هذه القلعة في محافظة دهوك - منطقة آميدي - اقليم جنوب كردستان العراق. وتقع تحديداً ما بين جبل شيرين وقرية زيوى، شمال شرق محافظة دهوك، ولم يبقى منها شيء سوى الاطلال وهي على هضبة في منطقة جبلية وعرة، زرتها سنة ٢٠٠٨، كما ورد ذكرها عند ياقوت الحموي: نيروه: من قلاع ناحية الزوزان لصاحب الموصل (١٩).

١٤- **الهكارية**: بالفتح، وتشديد الكاف، وراء، وياء نسبة: بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلد جزيرة ابن عمر يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية (٢٠).

١٥- **كنكور**: قلعة حصينة عامرة قرب جزيرة ابن عمر معدودة في قلاع الزوزان (٢١).

١٦ **قلعة وناحية گوركيل:** تقع في جبل جودي وكان تسكن المنطقة سبعة عشائر كردية: شهريوري، شهريلي، گوركيل، أستورى، وشورش، نيويد كاون، هيودل (٢٢).

١٧- قلعة أروخ: أروخ أسم عشيرة كردية وقرية وقلعة تقع في جبل كور قنديل الشامخ في سيرت. عند حافة نهر برواري والى الجهة الشرقية تطل قلعة أروخ الشهيرة التي لم يبقى منها سوى أطلال، كانت هذه القلعة آخر معقل لانتفاضة بدرخان بك حاكم إمارة بوتان واعتقل أمير بوتان في هذه القلعة وصفها المؤرخ شرفخان بأنها من أمتع قلاع كردستان وأحسنها (٢٣).

□ المصادر

(١) ياقوت الحموي - معجم البلدان - المجلد الثالث - دار صادر بيروت ١٩٧٧ - ص١٥٨.

(٢) الأمام محمد بن عمر الواقدي: تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق - تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش - دار البشائر للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦. ص٢٣٥.

(٣) أبو عبدالله الواقدي (فتوح الشام - الجزء الثاني) ضبطها وصححه عبداللطيف بن عبدالرحمن - منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية - بيروت . ص١٦٩.

(٤) - نفس المصدر (٢) هامش، ص٢٣٥.

(٥) - صفي الدين ابن عَبْد الْحَقّ البغدادي (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) -تحقيق وتعليق: محمد علي البجاوي - الجزء الثالث- دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢. ص١١٨٤.

(٦) - ابن الأثير: الكامل في تاريخ - راجعه وصححه دكتور محمد يوسف الدقاق - المجلد التاسع - الطبعة الرابعة ٢٠٠٣- دار الكتب العلمية بيروت. ص٣٣٩.

(٧) - ياقوت الحموي - معجم البلدان - دار صادر بيروت ١٩٧٧- المجلد الرابع - ص ٢٧٨.

(٨) - نفس المصدر السابق - المجلد الأول – ص (٤٢٩).

(٩) - نفس المصدر السابق - المجلد الاول – ص (٣٧٥).

(١٠) - نفس المصدر السابق - المجلد الاول – ص (٣١٦).

(١١) - نفس المصدر السابق - المجلد الاول - ص (٢٤٦).

(١٢) - نفس المصدر السابق - المجلد الثاني - ص (١١٥).

(١٣) - نفس المصدر السابق - المجلد الثاني - ص (٤٥٦).

(١٤) - نفس المصدر السابق - المجلد الاول - ص (٥١).

(١٥) - نفس المصدر السابق - المجلد الاول - ص (٣٢١).

(١٦) - د. زرار صديق توفيق (القبيلة القَيمُرية الكردية في إقليم الجزيرة ودورها في بلاد الشام ومصر خلال العصر الوسيط) مجلة الحوار - العدد (٧٠) صيف -٢٠١٧ - ص٦٠.

(١٧) - ياقوت الحموي - (معجم البلدان) - المجلد الثالث - دار صادر بيروت ١٩٧٧ -المجلد الرابع – ص (٤٢٤).

(١٨) - صلاح الدين الصفدي (الوافي الوفيات) - تحقيق: أحمد الأرنأووط - تركي مصطفى. دار إحياء التراث العربي، بيروت - الطبعة الأولى (٢٠٠٠) - المجلد (٢١) - ص٢٥١.

(١٩) - نفس المصدر السابق - المجلد الخامس – ص (٣٣١).

(٢٠) - نفس المصدر السابق - المجلد الخامس – ص (٤٠٨).

(٢١) - صفي الدين ابن عَبْد الْحَقّ البغدادي (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) - تحقيق وتعليق: محمد علي البجاوي - الجزء الثالث - دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢. ص١١٨٢.

(٢٢) - شرف خان البدليسي «شرفنامه في تاريخ الدول والإمارات الكردية» الجزء الأول ص١٤٣ الطبعة الثانية ٢٠٠٦ عن دار الزمان

لطباعة والنشر والتوزيع، دمشق -سوريا. ترجمة الى العربية: محمد علي عوني، راجعه قدم له: يحيى الخشاب.

(٢٣) - نفس المصدر السابق ص١٤٣.

×××××

المشهد العمراني لريف شمالي سوريا في المرحلة العثمانية

د. آزاد أحمد علي

من الصعب وضع تصور دقيق لحالة العمران الريفي خلال الحقب التاريخية السابقة، وذلك لسببين رئيسين، الأول عدم اهتمام المؤرخين بالريف، سواء أخبارها أو أوصافها، والثاني هشاشة العمران الريفي وضعفه أمام الكوارث البيئية والاجتماعية، وبالتالي تعرضه للاندثار، حتى بات لدينا ما يمكن توصيفه بالفجوات العمرانية، وذلك في مراحل تاريخية تاريخية كاملة، إذ نصادف فيها انقطاع شديد في العمران الريفي، وربما كانت المرحلة العثمانية، أحد تلك الحقب التي إن لم تشهد انقطاعا في العمران الريفي فإنها لم تكن مرحلة ازدهارها. فالمرحلة العثمانية كانت مرحلة إهمال وإدارة الظهر لكل مناطق سوريا والعراق، فقد أصاب الإهمال كل من المدن والأرياف. لدرجة أنه تم إهمال حتى بغداد عاصمة الخلافة العباسية الأولى، والقاهرة العاصمة الرمزية الثانية للخلافة، بعد أن تم نقل مقر

الخلافة الإسلامية الى إستانبول، بعد أن تم تنحية آخر خليفة عباسي، وهو المتوكل على الله الثالث، سنة ١٥١٧، بعد أن غزا السلطان سليم الأول مصر.

فبخصوص صعوبة التأريخ لحياة الريف يبين المؤرخ عماد عبد السلام الذي أشار الى صعوبة التأريخ لكل ما هو متعلق بالريف على الرغم من أهميته، على العكس من المدن: "في الوقت الذي عني فيه المؤرخون بتسجيل مختلف الشؤون السياسية والحضارية في المدن، فإنهم سكتوا إلا نادرا عن ما كان يجري خارج هذه المدن، لذلك لم يعنوا بتسجيل حوادث التاريخ في الريف الزراعي، وفي البراري والمراعي، إلا حينما يضطرون لمتابعة حملة قادها هذا الأمير أو ذاك الوالي ل (تأديب) عشيرة امتنعت عن دفع ما فرض عليها من ضرائب، أو (تمردت) بسبب ظلم ما تعرضت له، وهكذا بات من العسير على المؤرخ أن يتعرف اليوم على تاريخ ما هو خارج عن أسوار المدينة، من قرى كثيرة، وقبائل منتشرة، وأمراء ريفيين، وزعامات محلية، على الرغم من أهمية كل هذه القوى والكيانات في توجيه الاقتصادية، والاجتماعية، للمدينة نفسها، فالريف كان هو الذي يزود المدينة بنتاجاته الاقتصادية، وبحسب ما كان يصلها منه كانت تعيش حياتها ازدهارا أو اضمحلالا، والقبائل هي التي كانت تحمي طرق التجارة وهي التي تقطعها أيضا، وبحسب هذا أو ذاك تزدهر التجارة ويتعامل بها من التجار والحرفيين أو تخبوا فتقل الموارد المالية التي تدخل المدينة بسبب ذلك النشاط. والريف الزراعي المستقر هو الذي كان يرفد المدينة بالوافدين لطلب الرزق أو لطلب

العلم على حد سواء، ومن ثم فإنه يمثل المورد الأساس التي بها تجدد المدينة دماءها، وتتنوع العناصر التي تدخل في تركيبها الاجتماعي." (عبد السلام، ٢٠١٣، ص ٢٦٧)

كما أهملت دمشق الشام عاصمة الخلافة الأموية قبلها، ولذلك تعرض كل من العمران الريفي والحضري لتراجع كبير، خاصة مع تدهور الأوضاع الاقتصادية والإدارية وتراجع شرطي الانتاج والتسويق، ومن ثم الأمان في المجتمعات الريفية، هذه المجتمعات التي عانت من فرض الضرائب وجور السلطات العثمانية. لذلك باتت الحياة البدوية هي المفضلة لقطاع من القرويين، وليس للبدو فقط. ما أثر كل ذلك سلبا على تنامي الحياة العمرانية وتطورها، ومازلنا بحاجة لدراسة العلاقة الجدلية بين نمطي حياة الاستقرار والترحال ضمن المشهد العمراني في عموم منطقتنا. على الرغم من ذلك التراجع للحياة القروية ظلت بعض الاستثناءات المميزة قائمة، خاصة قرب الهضاب الجبلية، سواء في شمالي سوريا أم غربها، فقد ظلت العديد من القرى عامرة ومنتجة، وهذا ما يستنتج من العديد من المشاهدات، كم أنها مدونة في السجلات الرسمية. ولعل من أقدم وأهم تلك المشاهدات هو ما أورده في المرحلة العثمانية المبكرة، الرحالة الهولندي ليونهارت راوولف: "سافرنا من حلب الى البيره في ١٣ آب ١٥٧٤م ... وبعد أن سلكنا طريقا وعرا في اليوم الأول من رحلتنا، واجتزنا الصحارى وأماكن عديدة خالية من السكان، وصلنا عند المساء إلى قرية صغيرة توقفنا عندها ونصبنا خيامنا هناك وقد وضعنا أمتعتنا على شكل دائرة من حولنا، ولم نضع معها دوابنا كما

جرت العادة عند وجود قافلة كبيرة كيما نرد عنا هجمات الأعراب ليلا." (راوولف، ٢٠٠٨، ص١١١). وبعد أن اجتاز مناطق شرق حلب الخالية من السكان عهدئذ وصل الى مدينة بيره جك على نهر الفرات شمال جرابلس الحالية: "المدينة ليست كبيرة ولا محصنة، لكن يمكن الدفاع عنها جيدا بالقلعة التي تستقر على صخرة عالية، تقع على حافة النهر ولا يمكن الاستيلاء عليها بيسر. ويحيط بالمدينة ريف جميل جدا، فائق الخصب وذلك لآن هذا الجانب من النهر يتألف بصفة رئيسية من أرض سهلية، وكان القوم قد أتموا دراسة القمح حين وصولنا الى هناك، وأخذوا يضعونه في عربات تجرها الثيران. وقد تناثرت هنا وهناك قرى حسنة المنظر." (راوولف، ٢٠٠٨، ص١١٤)

وثمة آراء معاكسة وردت في سياق مشاهدات أخرى متأخرة نسبيا، لم ترى سوى ما هو متواضع في عمران شمالي سوريا، كما ورد عند الرحالة الفرنسي تافرييه، الذي سافر خلال القرن السابع عشر الميلادي. وكغيره من الأوربيين كان منحازا ومتحاملا على عمران المنطقة، فيصف القرى والبلدان بأنها (حقيرة)، ويبدو أنه ثمة أرضية موضوعية لهذا الوصف بسبب اندثار القرى العامرة شرق مدينة حلب: "إنك بعد أن تبتعد فرسخين (٥ كم) أو ثلاثة فراسخ من حلب تدخل البادية فلا يقع نظرك على غير الخيم المنصوبة بدلا من المساكن المشيدة." (تافرييه، ١٩٤٤، ص١٧).

وفي رحلته الثالثة إلى الهند ومروره بحلب عام (١٦٤٣م) وصف إحدى المحطات في الطريق: "وهو كهف يلجأ إليه غالبا البدو أو رعاة

البقر الذين يعيشون عيشة الأعراب، إما في كهوف أو أكواخ حقيرة." (تافرنييه، ١٩٤٤، ص٤١)

كما أبدى في رحلته الضجر من العمارة السكنية في مدينة أورفا: "وأسوار المدينة مبنية من الحجارة وكذلك الشرفات والأبراج، أما البيوت ضمن المدينة فصغيرة الحجم حقيرة البناء، مهدمة".

وتابع وصفه للعمران الريفي خارج أورفا: "غادرنا أورفا فحللنا بعد ست ساعات في قرية حقيرة فيها خان خرب، وفسقية ذات ماء نمير وهذا ما يرتاح إليه المرء في تلك القرية." (تافرنييه ،١٩٤٤، ص ٤٩)

فمن المعتقد أن تدهورا وتراجعا قد حدث للعمران الريفي منذ مطلع العهد العثماني، باستثناء بعض التجمعات السكنية على الطرق وكذلك بعض الخانات التي تخدم المسافرين والقوافل. وعلى الرغم من هذا التراجع الموضوعي لا يمكن الاعتماد كليا على أوصاف الرحالة، والركون الى أمزجتهم وآرائهم التي قد لا تكون موضوعية ودقيقة بالضرورة، ولكن استعراض تلك الآراء، يساهم في رسم الصورة العامة للمحيط الريفي الذي ظل ومازال غير واضح في تفاصيله بالنسبة للدارسين.

ويبدو أن العمران الريفي تركز في المناطق الشمالية من الجزيرة الفراتية، تلك التي كانت قريبة من الهضاب الجبلية، وخاصة في المناطق التي تتوفر فيها مياه الينابيع والآبار السطحية. ويمكن الافتراض بأن العمران الريفي في تلك المناطق لم ينقطع، وذلك لجملة

من العوامل، أبرزها توفر المياه واستمرار الفلاحة وتربية المواشي، أي وجود مجتمعات فلاحية متجذرة، فضلا عن ارتباط مجموعة من القرى مع مركز إداري في مركز مدينة قريبة. فقد استمرت القرى عامرة بدرجات متباينة من مرحلة الى أخرى، وخاصة على طول مسار الطريق الواصل بين حلب – ماردين – نصيبين – الموصل، إذ وفر لنا هذا الطريق معلومات متكررة لوصف الرحالة للعديد من القرى والمدن، والتي مازالت أغلبها قائمة حتى يومنا هذا، وسنوليها اهتماما خاصا، نظرا لأنها قرى تاريخية قائمة منذ أمد بعيد.

من قرى منطقة درباسية

فعند المسير بين مدينتي نصيبين والموصل ضمن المنطقة السهلية، ذكر تافرينييه قرية واحدة دون ذكر اسمها: "وقد مكثنا في هذه المدينة ثلاثة أيام بلياليها، لنتزود بالطعام الذي يكفينا حتى الموصل التي تبعد مسيرة خمسة أيام عن نصيبين لان المنطقة بين هاتين المدينتين مقفرة خالية من السكان، ولا يوجد الماء إلا في موطنين... سرنا عشر

ساعات، ثم نزلنا قرية حقيرة لم نجد فيها ما نأكل." (تافرينيه، ١٩٤٤، ص ٥٨).

أما في القرن الثامن عشر فقد وصف الرحالة الفرنسي أوليفية عمران مناطق شمال الجزيرة الفراتية، إثر مروره بكل من أورفا وماردين ونصيبين، مؤكدا أيضا على قلة عدد القرى، كاشفا عن بساطة أبنيتها إن وجدت، مدققا في تفاصيل عمارة مدينة نصيبين: "وهي ليست سوى قرية مزرية لا يكاد سكانها يبلغون ألف نسمة، معظمهم تقريبا من الأكراد والعرب، كما أن فيهم بعض الأرمن واليعاقبة الذين يعتاشون على مرور القوافل. والقرية هذه المشيدة على مقربة من النهر في موقع المدينة القديمة. أزقتها ضيقة جدا وغير متناسقة إطلاقا كما أنها ليست مبلطة البتة، والبيوت واطئة، وغير مريحة، وليست مشيدة بشكل جيد، تشتمل على فناء غير مبلط ولا مسيج، الحيطان من طين، والسقوف من قش، يضعون فوقها طبقة من طين يخلطونه بتبن اتقاء المطر." (أوليفية، ١٩٨٨، ص ٣١)

فمن الملاحظ بصدد نصيبين أنها تراجعت من مدينة تاريخية مهمة إلى قرية شيدت على أنقاضها، وكاستمرارية لها. وبصدد القرى فقد أشار أوليفيه إلى وجودها باقتضاب بين نصيبين والموصل، يسكنها الأكراد والعرب مع كثرة وجود قطعان أغنام الرحل. (أوليفيه، ١٩٨٨، ص ٣٩)

لكننا نجد أن أوصاف جميس بكنغهام لأطراف هذا الطريق العابر لشمالي سوريا أكثر دقة، مؤكدا وجود عدد كبير من القرى العامرة في

مرحلة لاحقة، في اليوم الأول من تموز عام ١٨١٦م غادر نصيبين متوجهاً إلى الموصل عبر سهل سنجار، أي عبر نفس الطريق الواصلة بين حلب نصيبين – الموصل، فلفت نظره في البدء كثرة القرى في المنطقة: "كان طريقنا في السهل يتجه شرقي الجنوب الشرقي. فإلى يسارنا أو الشمال كانت ترتفع من التلال التي امتدت من مدينة دارا شرقاً وتقع في هذه السلسلة جملة من القرى لم نعرف أسماءها. أما إلى يميننا أو الجنوب فكان جبل سنجار الشاهق." (بكنغهام، ١٩٦٨. ص٦)

لقد استمرت العديد من القرى في البقاء لعهود طويلة في مناطق شمالي سوريا، لكننا لسنا بصدد إحصائها أو ذكرها جميعا، وإنما سنختار عدة نماذج منها، للدراسة وللمقارنة بين خصائصها، من النواحي: المعمارية، مواد البناء وطرق الإنشاء، نمط الحياة السائد. وسنعتمد منهجا جغرافيا في دراسة نماذج من قرى شمالي سوريا، نبدأ فيه من أقصى الشرق، من ضفاف نهر دجلة وصولا إلى قرية جبرين الملاصقة لمدينة حلب في الغرب. وسنتطرق لبعض هذه القرى في أعداد المجلة القادمة

(مستل من كتاب سيصدر قريبا بعنوان: **القرى الطينية في شمالي سوريا)**

××××

- **المصادر والمراجع التي وردت في النص**

(١) عماد عبد السلام العطار – الموصل في العهد العثماني – النجف ١٩٧٥
(2) رحلة الهولندي الدكتور ليونهارت راوولف. ترجمة: د. سليم أحمد خالد. بيروت - ٢٠٠٨
(3) تافرنينه، العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنينه. ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد - ١٩٤٤
(4) أوليفييه، رحلة أوليفييه الى العراق (١٧٩٤- ١٧٩٦)، ترجمة: يوسف حجي. بغداد - ١٩٨٨
(5) جيمس بكنغهام. رحلتي إلى العراق. ترجمة سليم طه التكريتي، الجزء الأول - بغداد ١٩٦٨.

قرى كوردية

بقايا أحجار قصر علي باز في قرية خوشيني

المحامي: محمود عمر
ناشط في مجال حقوق الانسان

خوشيني أو (خوشينية) عروسة قرى منطقة آليان، يتكون الاسم من مفردتين، الأولى (خوش) والثانية (شيني)، والمعنى الخضرة الجميلة، وذلك للدلالة على جمال طبيعتها. ينابيعُها التي ما زالت دافقة، ونهرها جار، وخضارها فائضة، وتوجد فيها مساحات واسعة من حقول القمح والشعير والعدس والحمص والكمون والكزبرة، فما زالت تزرع بهذه الأنواع أراضيها. فيها كروم العنب، وبساتين الفاكهة، من التفاح والسفرجل، والخوخ، والرمان، والتين. كانت البساتين تمتد من أسفل النبعين والى نصف المسافة التي تفصلها نحو

قرية (عربشاه) جنوبا. كما كانت غابات الحور على امتداد النهر، تتطاول شمالا نحو قرية (علي بدران)، وجنوبا نحو قرية (عربشاه). هذه البساتين والحقول التي ترتوي بمياه النهر القادم شمالا من قرية (عتبة) - المحاذية للحدود التركية التي رسمتها خطوط (سايكس بيكو) - مرورا بقريتي (شيدكة) و(علي بدران) يرفدها مياه الينابيع القادمة من كل هذه القرى، وفي نصف المسافة المتبقية للوصول إلى (عرب شاه) تصادفك العديد من الطواحين المائية وأحجار المعاصر المسطحة على طرفي النهر وبقايا سور قديم يحكى انه كان يحمي مملكة (عربشاه) في العهود الغابرة.

تعود القرية بملكيتها إلى ذلك الفارس النبيل (علي باز) - من عشيرة (قلنك وشمخالكا)، والذي ما زال تحاك عنه الكثير من قصص الفروسية والكرم والشهامة، الرواية تفصح بأن علي باز هو الذي بنى في وسط القرية قصرا من حجر البازلت الأسود، حيث يطل القصر على نبع (كانيا كورك)، النبع الذي رمم مع نبع (الجامع)، فالمسجد بني فوق النبع مباشرة. هذا وقد شيد جامع القرية بنفس نوعية الحجارة التي بنى بها القصر، وبذات الحجر جهز علي باز لنفسه قبرا في أعلى التلة التي تطل على القرية شرقا وأوصى بأن يدفن فيه. التلة التي تضم قبور الآلاف من أبناء عمومته وأجداده. التل الذي تحول مع مرور السنين الى مقبرة كان على الدوام، وما زال مركز مراقبة جيد بالنسبة لسكان القرية، يطل على كل الاتجاهات.

جانب من قرية خوشيني وبقايا جدران قصر علي باز

كانت خوشيني وما زالت تضم العديد من عوائل عشيرة (علي باز) عشيرة (قلنك وشمخالكا) وعوائل من عشائر أخرى، هذه العشيرة التي تعتبر من العشائر الكردية القديمة التي تسكن هذه المنطقة وتمتد قراها شرقا وباتجاه الجنوب الشرقي نحو حدود (شنكال)، وشمالا نحو مركز هذه العشيرة قرية (آلا قمش)، وغربا نحو قرية (ديرونا قلنكا).

يحد خوشيني شرقا قرى (توكل) و (آلا قوس)، وغربا كانت تمتد كروم عنب القرية نحو قريتي (بابسي) و (ماشوق)، وشمالا لا يفصلها سوى الطريق عن قرية (علي بدران)، أما جنوبا فقرية (عرب شاه)، تقع قرية خوشيني شمال غرب قرية (جل آغا) التاريخية بنحو عشرين كيلو متر، والى الشمال الشرقي من تربسبي (قبور البيض) بمسافة مشابهة.

وحيث أن سمة اللاستقرار هي الطاغية على هذه المنطقة نتيجة تبدل الظروف الطبيعية والنزاعات ولا يبق لأهلها بد سوى الرحيل كلما حل الجفاف، والعودة للبناء والعمران حين تفيض السماء بخيراتها، لذلك ـ وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحين حل القحط ـ طلب (علي باز) من الجميع ان يهاجروا في أرض الله الواسعة، ويظل مع زوجته آخر من يغادر، وقبل الرحيل فكفك رمحه من الأوصال إلى أجزاء وأخفاه مع ثيابه التقليدية في حرز أمين، وارتدي ثيابا كبقية القوم وهم بالرحيل. وبعد مسيرة أيام بلياليها صوب الشمال حط رحاله على أطراف إحدى قرى جزيرة (بوطان)، وعاش بين أهلها ليقتات قوت يومه بكد يديه سنين عديدة تحت اسم (علي بري) لأنه صرح لأهلها بأنه من إحدى قرى برية الجزيرة التي أصابها الجفاف، تمضي الأيام والسنون، وفي أحد الأيام وعلى حين غرة استغل بعض الغزاة غياب معظم رجال القرية عنها لينهبوا جل مالها ومواشيها، وما أن تناهى الخبر إلى مسامعه حتى امتطي حصانه من فوره ومضى كالبرق نحو البيت، طلب من زوجته أن تخرج الرمح وتعيد تركيب أوصاله، بينما هو ينهمك بارتداء ثيابه التي كان قد أخفاها مع الرمح ولم يكد ينتهي من تعمير كوفيته وارتداء أكمامه فوق الملابس حتى كان الرمح بين يديه، سلمته زوجته لجام الحصان دون ان تنطق بكلمة هي تدرك ان أمرا جللا قد وقع، انطلق كالريح ووقف ـ ليس ببعيد ـ أمام الغزاة ليسارع حراس المقدمة بإخبار كبيرهم أن فارسا يعترض المسير ويطلب ترك المال وإعادته إلى أصحابه.

وحين باءت كل توسلاته لإعادة المال بالفشل طلب أن يلتقي بزعيمهم وجها لوجه، انطلق هذا الأخير نحوه وهو متيقن ان هذا الكلام والعناد لا يصدر إلا من فارس نبيل، وعلى بعد مسافة سأله: من أنت ولماذا تعترض طريقنا؟!

أنا أدعى (علي) رجل غريب دفعتني الظروف إلى ان أعيش بين أهل هذه القرية منذ زمن ولم أتلق منهم غير كل خير وحسن معاشرة، أما وقد غزوتم غزوتكم هذه مستغلين غياب رجالها، فانا مضطرُ للدفاع عنها، فرجائي منك كرجل شهم وكريم يأبى أن تهان مروءة الرجال وكراماتهم ـأن لا تخذلني وتترك المال كي أعيده لأصحابه.

ولكنك يا (علي) تدرك أعراف الغزو والسلب وإن رضخت لطلبك فالقوم ومن ورائهم عائلات جائعة لن ترضى بقراري لذلك أطلب منك أن تعود أدراجك سالما، ولا نريد أن نؤذيك فأنت رجل وحيد بين عصبة من الخصوم.

لن أبرح مكاني ولن أعود دون المال أو أهلك دونه؟! لذلك فليحسم هذا الأمر بيني وبينك نتبارز إن غلبتني وقتلتني فأنا ـ وكما أخبرتك رجل غريب لن يطالبك أحد بثأر أو دم - وإن كانت الغلبة لي فسوف تعاهدني وتأخذ عهدا على رجالك بترك المال وإعادته، أعجب سيد القوم برجولة (علي) وراقت له الفكرة، انطلق نحوه كالعاصفة، وهو يقول مبتسما استعد أيها الرجل الشجاع فأنا قادم ولا أمان لك اليوم، فر(علي) أمامه لمسافة طويلة وكبير الغزاة يتعقبه قائلا: إلى أين؟ ألم يكن هذا خيارك؟ لا يليق بفارس مثلك الفرار! استمر (علي) في

الفرار، وزادت المسافة إلى الحد الذي تيقن (علي) بان حصان صاحبه قد تمكن منه التعب استدار (علي) من بعيد راسما دائرة كبيرة من الغبار بحواف حصانه واستمر إلى أن أصبح خلف خصمه مباشرة اقترب منه بسرعة لم يمهله فرصة الفرار أو الرجوع للمواجهة، وما أن أصبح ضمن مرمى رمحه وضع الرمح تحت كوفيته من الخلف رفعها للأعلى ورمى بها أرضا وغرز فيها رمحه، اندهش الخصم من براعة وفروسية (علي) أوقف حصانه وتوجه نحوه منكسرا متوسلا أن يقتله فالموت أرحم من هذه الهزيمة، حاول (علي) أن يهون الأمر عليه ويشيد بفروسيته ولكن الحظ يكون أحيانا في صالح طرف دون الآخر، أعاد إليه كوفيته بكل أدب، قائلا: ان رجل مثلك لا يستحق القتل، وأنا - وكما أخبرتك - غريب الديار ولا يليق بالغريب أن يخلق الفتن ويزرع الثأر ويهدر الدماء بين الأقوام، فقط عليك ان تفي بوعدك، طلب من رجاله أن لا يقترب أحد من (علي) وأن يسلموه كل مال الغزو وكل مشى في وجهته.

ينابع قرية خوشيني

ومنذ ذلك اليوم أعجب الجميع بفروسية وشهامة (علي) وأصبح من مقربي ومستشاري كبير القرية خاصة بعد أن أطلعهم على حقيقة أمره، مرت الأيام وعلم (علي) بأن القحط قد غادر المكان وأن الناس تعود إلى قراها لتجدد في العمران والبنيان ومع اشتداد شوقه لأهله ومواطن صباه وعزته بين أهله قرر العودة و طلب الإذن بالرحيل، خاصة أن وجوده سيتسبب في مشاكل لصاحبه، فمنزلته التي كانت تزداد كل يوم أصبحت مبعث قلق وغيرة وحقد ابن أخيه وأصبح في كل شاردة وواردة يحاول الإساءة إليه، فابنة عمه ترفض الزواج به، وتقترب كل يوم من (علي) هذا الذي رفض عرضها للزواج أكثر من مرة، مبررا موقفه بأنه سعيد مع زوجته وأن والدها سيكون في موقف لا يحسد عليه سواء بالرفض أو القبول، مع ان زوجته كانت تطلب منه دوما أن يتزوج بها أو بغيرها عسى الله يرزقه بطفل ولكنه كان يقول هذا نصيبي من الدنيا وأنا راض بقسمة ربي ولكي لا تتطور الأمور أكثر ومع إلحاحه على صاحبه بأن يأذن له، أمن له هذا الأخير جميع مستلزمات السفر ورافقه مع بعض رجاله إلى مسافة آمنة، وودعوه واستمر(علي) مع زوجته في المسير، وبعد قطع مسافة ليست بطويلة تفاجأ بفارس ملثم يتعقبه، وحين الوصول رفعت اللثام فاذا هي (خاتي) ابنة صاحبه قد لحقت به وتترجاه أن لا يعيدها، احتار (علي) ونظر خجلا في وجهها ووجه زوجته يضرب كفا بأخرى، طلب منه زوجته ألا يكسر بخاطرها فامرأة قد رضيت بكل هذه العواقب لا تستحق أن تعاد، وربما يكون في الأمر كل الخير، وبعد مسيرة طويلة وصلوا إلى قريتهم، التي كان قد سبقه اليها بعض العوائل، وأول عمل قام به أنه أرسل رسولا إلى والد الفتاة يخبره

بتفاصيل القصة وأنه لن يعقد عليها دون موافقته رجع الرسول وهو يقول إن والدها سعيد بمصاهرته وإنها هديته إليه، وهكذا مضت الأيام والسنون بسرعة وسعادة بعد عسر ومجاعة والناس تبني وتعمر وتجدد إلى أن بلغ (علي) من العمر عتيا، وحانت ساعة الفراق الأبدي، مات (علي) ودفن في قبره أعلى القرية بناء على وصيته، وبعد وفاته ظلت خشوني كبقية قرى المنطقة تعيش حياة هانئة هادئة لعقود حين وفرة الماء والخضار، وتعود خاوية كمثيلاتها لعقود حين يحل القحط والمجاعة.

تأتي بدايات الربع الأول من القرن العشرين ويزداد نفوذ (حاجو آغا) ويبسط سيطرته على المنطقة، وهنا يقترح (عفدي مرعى) الذي كان يقطن (ديرونا آغى) وهي كبرى قرى منطقة آليان ومركزها التاريخي، ويطلب من (ابراهيم حجي أوسي) الذي كان يقطن قرية توكل ان يتوجه إلى خوشيني ويعمرها من جديد كونها من القرى التي تعود ملكيتها في الأصل لعشيرته (قلنك وشمخالكا)، فتوجه اليها هذا الأخير، رمم قصر (علي باز) من جديد واتخذه مسكنا له ولعائلته، وتتابعت العوائل في العودة إلى القرية، فعاد اليها من توكل المرحوم سيد عباس سيف الدين والملا محمد ملا ياسين الحسيني وعوائل: حسن عيسى قصدوها من قرية شيرو، وكذلك قصدتها عوائل: محمد حاجي من آلا قوس، وعاد اليها حمودي موسك من ديرونا أغى، و رمو عباس من قرية كيشك، ومع هذه العودة عادت الحياة لتزدهر من جديد في القرية وعادت البساتين لتزدهر بالفواكه وكروم العنب،

وعادت خوشيني الى جمالها السابق وطبيعتها لتكون من جديد عروسة منطقة (آليان).

أما في زمننا المعاصر ونتيجة لسنوات الجفاف والقحط التي حلت بالمنطقة، خاصة في التسعينيات من القرن العشرين، وأمام خصومات ونزاعاتنا نحن بني البشر، ومع مغادرة بعض أهلها واستقرار آخرين لم يبق من جمال قرية خشوني سوى الينابيع وبعض أشجار التوت التي ما زالت صامدة تقاوم جشعنا وطمعنا، وما زالت بقايا أحجار قصر (علي باز) الباقية شاهدة على أثار رجل شهم نبيل كان يسكن هذا المكان وحافظ عليه.

قراءة فى الكتب والمطبوعات:

جريدة "كردستان"

لصاحبها الأمير عبد الرحمن بدرخان

افتتاحية العدد (١٦) - ٢٤ تموز ١٨٩٩م

الترجمة عن الكردية: نوّاف بشار عبد الله

مهندس مدني. كاتب باللغتين الكوردية والعربية

يتمنّى كلُّ مسلمٍ أن تدومَ هذه الدولة العثمانية وتظلَّ قائمةً قوية، لذلكَ، عندما نرى أنّ جسمَ الدولة مريضٌ بسبب سوء الإدارة، يتوجبُ علينا الإسراعَ بمعالجته وتداويه وإزالة أسباب ذلك المرض، لأنّ حياة الدولة من حياتنا وموتُها من موتنا. حينما نتعرّضُ إلى هجومٍ من وحشٍ قاتلٍ، وحفاظاً على أرواحنا نقومُ بحماية

أنفُسِنا منه ونلجأُ إلى إفنائه باتباع كافة الوسائل والأدوات والتدابير الممكنة. لكن، هناك الكثيرُ من الوحوش التي لا نراها بأعيننا أو أننا نراها، لكننا لا نشعرُ بضررها وخطورتها الكبرى على حياتنا. فوجودُ ملكٍ ظالمٍ بسدّة الحكم مثلاً هو أشدُّ ضرراً من الوحوش الكاسرة، لأن الوحش يكتفي بهلاك شخصٍ أو شخصين أو ثلاثة أشخاصٍ، بينما يقومُ الملكُ الظالم بمحوِ وإفناء شعبٍ بأكمله. لا يستطيع الإنسانُ الأمّي الجاهلُ أن يلحظَ ضررَ الحاكم الظالم، لأنه لا يدركُ حِيَلَهُ ودسائسَه، لكنّ العلماءَ من الأمة يعرفونها جيداً. فبقدرِ ما يقوم المرءُ بحماية نفسه من شرور أفعىً، يتوجبُ عليه بنفس القدر أن يقومَ بحماية دولته من شرور الحكام الفاسدين الظالمين!

بسبب فسادِ وسوء إدارة السلطان، تعيشُ دولتُنا العثمانية هذه الأيام حالةً من الضعف الشديد والانكسار والتخلف بين الدول، فإنْ لم نسعَ نحنُ أبناءُ هذه الدولة إلى إيجاد علاجٍ لهذا الداءِ، فإنّ دولتنا تسيرُ نحو الانقراض "لا سمحَ الله". لقد ازدادَ شعبُنا فقراً على فقرٍ ولم يعُدْ يمتلك بين يديه شيئاً، إذْ استولى السلطانُ ووزراؤه على كل شيء، على كل الموارد والخيرات المادية. إننا نمتلكُ مساحاتٍ شاسعةً من الأراضي الزراعية، لكن، وبسبب الفقر الشديد للأهالي، بقيت هذه الأراضي

بوراً غير مزروعة. فلو قام السلطانُ بصرف نصف ثروته لتأمين البذار للفلاحين، لأثمرتْ تلك الأراضي وأينعتْ وأنتجت خيراتٍ وفيرة ساهمتْ في تسوية أمور الناس وسدّتْ احتياجاتهم المالية، لكن وللأسف الشديد، فإنّ السلطانَ لا يشعرُ أو يتألّمُ مما يعانيه الشعبُ من فقرٍ مدقع أو يتأثّرَ بأوجاعهم. إنّ الشعبَ يصرخُ من الجوع وأطفالُه اليتامي يمرضون من البرد القارس، يئنّون من الألم ويذرفون الدموعَ في الوقت الذي يعيش فيه عبد الحميد في قصره العالي لا يشعرُ بهم ولا يسمعُ بكاءَهم وعويلهم ونحيبَهم. ولئن استطاعَ على سبيل الفرض امرؤٌ الوصولَ إلى السلطان وشرحَ له همومَه وفقرَ حاله، فإنه يغضبُ غضباً شديداً ويقول له بأنك قد أتعبتَني وأقلقت عليّ راحتي، فيلجأ إلى معاقبته بالحبس أو النفي خارجَ البلاد!

لأجل تأمين مستقبله وحماية مصلحته، يدفعُ السلطان ٤٠-٥٠ ألفاً لكلِّ وزيرٍ من مال الشعب كما يدفعُ مبالغَ طائلَة لا تُعَدُّ ولا تحصى لرجال الأمن الساهرين على حمايته وحماية حكمه، إلا أنّ أصحابَ الشهامة والإرادة الصلبة غير الدائرين في فلكه، محرومون من النعم ومعرضون لنكباتِ السلطان ونِقمته. يأخذ عبد الحميد المالَ من شعبه، ويضعه في البنوك بالرّبا ليحصل على فوائدها، ومن المعلوم أنّ الرِّبا حرامٌ على كلِّ مسلم. يدّعي عبد الحميد أنه خليفة الرسول (ص)، وفي الوقت ذاته يأكلُ مالَ الربا الذي حصلَ عليه عنوةً من الشعب المظلوم المغلوب على أمره. ولئن أُحسِنتْ إدارة دولتنا، لأصبحت في مصاف الدول الغنية العامرة، لكنها تعتبر اليوم دولة محتاجة منهوبة، وإنّ سببَ هذه الحالة هو السلطانُ وأمناؤه.

تَزيدُ وارداتُ دولة الإنكليز عن نصف واردات كلّ دول العالم، ومع ثرواتها وكلّ غناها فإن المبالغَ المخصصة فيها لرواتب مسسؤولي حكومتها تقلُّ كثيراً عن الأموال المخصصة لمسؤولي حكومتنا. كلُّ هذه الأحوال الناجمة عن سفاهة السلطان، تعطي المبررَ الكافيَ لخلعه عن العرش، وبناءً عليه، حتى صلاة يوم الجمعة يعتبرُ فاسداً وغير مقبول، ناهيك عن الأموال التي تُنفقُ في قصر السلطان فهي غير قابلة للحصر والتعريف.

في أحدِ أيام خلافة الإمام عليٍّ رضي الله عنه، جاءه رجلٌ وكان الوقتُ ليلاً يسأله عن أمر بخصوص الدولة وأحوال الأمة. بعدَ أن أجابَ الإمامُ عن سؤاله، دخلَ الرجلُ في حديثٍ عامٍ مع الإمام. حينها، أقدمَ الإمام على إطفاء السراج وبقي الاثنان في ظلام دامسٍ. سألَ الرجلُ الإمامَ عن سبب إطفائه للسراج، أجابه قائلاً: حينما جئتني في البداية وكان سؤالك وإجابتي عنه يتعلقان بأمور الأمة، لهذا كان من حقي أن أشعل السراجَ الذي أعطاني إياه بيتُ المال، لكن النقاش الذي دار تالياً، كان شخصياً، وليس من حقي أن أستعملَ الأشياء التي يعطيني إياه بيتُ المال في غير موضعها.

أيها المسلمون.. هكذا يجبُ أن يكون الخليفة وهكذا كان الخلفاءُ الراشدون.

من الخلفاء الأمويين، الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي مرض يوماً، وكانت زوجته تقوم بخدمته لوحدها دون غيرها. في تلك الأثناء قامَ أخو زوجته بزيارته للاطمئنان عليه بسبب المرض الذي ألمّ به.

وقع بصرُه على ثوب الخليفة فوجده متسخاً، غضبَ كثيراً وعاتبَ أخته على تقصيرها قائلاً لها: كيف تدَعين ثوبَ زوجك متسخاً هكذا يا أختي؟ أجابته أخته قائلةً: إن الخليفة يمتلكُ ثوباً واحداً، وبسبب مرضه وانشغالي به، لم أتمكّن من غسله.

أيها الأكراد، تأملوا هذه الحالات وتصوّروا حجم التبذير الذي يجري في قصر السلطان، فلو رأى المرءُ حقيقة الوضع في قصره، لخشيَ من الله سبحانه وتعالى تسميته بخليفة المسلمين!

عندما توفي السلطان عثمان الأول -الذي هو من أجداد هذا السلطان- كان ميراثه بعد رحيله يقلُّ كثيراً عن ميراث أيّ إنسانٍ فقير. لكن، لو تمّ توزيعُ أموال عبد الحميد المكدسة على هذا الشعب الفقير، لأصبحَ الجميعُ أغنياءً يعيشون بثراءٍ.

توجدُ في قصر السلطان عدةُ آلافٍ من بنات الشركس يعشنَ حالة من البؤس، أسوأ من حالة الأسرى، حيث تدخلُ هذه الفتياتُ المسلماتُ القصرَ صغيراتٍ ولا يخرجن منه أبداً، يكبرن بالعمر ويصبحن مسناتٍ ويمُتن دون زواجٍ ودون أطفال، كل ذلك من أجل سعادة السلطان عبد الحميد وحسب. فلو قام السلطان بدلَ حبسهن في القصر وإفناء حياتهن في العزلة على تزويجهن برجاله، لازداد عددُ أفراد الأمة وكسب رضى الله تعالى ورضى الشعب وعامة الناس.

كما توجدُ في اسطبلاته أعدادٌ كبيرة من الخيول التي تأكلُ وتشربُ ليلاً نهاراً دون أن يستفيد الشعبُ منها شيئاً، بل على العكس من ذلك، فإنّ السلطان ينتزعُ مصاريف هذه الخيول من قوت الشعب ولقمة

عيشه. بدل أن يقومَ السلطان بتربية هذه الأحصنة وينفقَ عليها طائلَ الأموال كان من الأفضل أن يوزعها على جنوده وضباط جيشه، لكن السلطانَ قد أدارَ الظهرَ للعدل ويعملُ كلَّ وسعه بسفاهةٍ ويسيرُ على الدرب الخاطئ، لأنّ مستشاريه ومجلس عقلائه هم مجموعةٌ من الغجر عديمي الأصل والضمير، أولئك الذين يقومون بشحنه على الدوام بأوهامٍ أوصلتهُ إلى درجة أنه يصدق كلَّ من يكذبُ عليه. وبهدف الابتزاز، يقوم رجال القصر بإخافته وبثِّ الرعب في أوصاله زاعمين أنّ الشعب يريد قتلَه، ومن شدة خوفه، يقوم السلطان الموهوم بإعطاء المال بجزالةٍ لأولئك اللصوص بغية حمايته من الموت المزعوم، فمن شدة التبذير قد جفّتْ منابع الثروة.

بدلاً من حماية نفسه وتأمينها بالعدل، لأنّ النفسَ التي لا يتمُّ حمايتُها بالعدل والإحسان، لا يمكنُ تأمينُها بأية وسيلةٍ أخرى. من شدة خوفه وهلعه من الموت، لا يخرجُ السلطانُ من القصر، فيضجرُ وتضيقُ به الدنيا، فمن أجل الحصول على فرصةٍ صغيرة من الراحة والأمان، يقومُ بصرفِ مبالغَ طائلة غافلاً عن هموم الشعب ومصالحه بشكل نهائي، فهو على استعدادٍ أن يصرف ألف ليرة ذهبية للظفر بساعةٍ واحدةٍ من الراحة والمتعة. لكنّ النفسَ لمْ تشبعْ يوماً من الملذات الشيطانية، وبقدر ما يشغل المرءُ نفسه بمثل هذه الملذات، أي حينما يصبحُ متبوعاً لنزواته وأهوائه، يصبح أسيراً لنفسه الأمّارة بالسوء.

كان من الأجدى للسلطان بدلَ أن يعملَ بنصائح القبطي أبو الهُدى (أبو الضلال) ويفنيَ عمرَه في ليالي الفسق والفجور، أن يتركَ هذه الأحوال التي لا تليقُ بمكانته ويهجرَها، وينتخبَ ندماءَه من الطيبين،

ويُبعدَ هذه الزمرة الفاجرة المحيطة به عن القصر ويسيرَ على خطى وهدي الخلفاء الراشدين، عندها، سوف تشعرُ نفسُه بالسعادة وروحُه بالاستقرار وتتمّ المحافظة على مصالح الشعب ومستقبله. أصبحَ الناسُ على بيّنةٍ مما يجري من أحوالٍ في قصر السلطان، فالأتراكُ يعرفونها، لذلك هناك العديدُ من الصحف التركية تقوم بنقل الصورة والواقع إلى مَن لا يعرفونها. ولأن الكردَ بعيدون عن اسطنبول، فإنني ملزمٌ أن أعلمَهم بواسطة جريدتي هذه. عندما يعرف الجميعُ الحقيقة، فإنهُ فرضٌ على كل مسلمٍ أن يبحثَ عن دواء لهذا الداء القاتل، لأنه داءٌ هادمٌ لحياة الشعب مخرّبٌ للوطن ومضرٌّ بالناموس، وإن الشعبَ هو مَن يدفعُ ضريبة سوء السلطان.

من المحتملِ أن يكون هناكَ الكثيرُ من العلماء والبكوات والأغوات يرون هذه الأحوال السيئة ويرغبون في أعماق نفسهم منعَ حدوثها، لكنهم ومن أجل شهوات الدنيا ومغرياتها لا يرغبون في الشروع بالمنع. فمن أجل ملذات عدة أيامٍ في هذه الدنيا الفانية، يقومون بإهمالِ خدمة ضرورية لشعبهم. على أُولئك ألا ينسوا أن الرسول (ص) قد أمرَ: (حبُّ الدنيا رأسُ كلُّ خطيئةٍ).

إنّ ذلك الذي يقومُ بتعطيل وإبطال شجاعته وهمته بسبب تعلقه بملذّات الدنيا، فإنه سوف لن يخسر الدنيا وحدها، بل سيخسرُ الآخرة أيضاً، ولسوف يلقى أولادُه من بعده الضررَ والخسارة ضريبة تقاعسه عن تأدية واجبه، وإنّ سعادتنا تكمنُ بالالتزام بأمر الله سبحانه تعالى ورسوله (ص). عندما كان سلاطينُنا يسيرون على هدي هذه الأوامر كنا مسيطرين على الدنيا وعندما تركوها، تخلفنا عن العالم. السلطانُ

حسبَ افترائه وأفرادُ الشعب حسب درجة قوتهم مطالَبون بالقيام بواجبهم. لكن، هناك ملاحظة في كلمة (حب الدنيا) تحتاج إلى التدقيق، فإنّ ما تنهى عنه الشريعةُ هي (حب الدنيا) وليس الدنيا بذاتها لأنّ الدنيا هي مزرعة الآخرة. لقد وهبَنا الله تعالى في هذه الدنيا الكثيرَ من النعم ويتوجبُ علينا شكرَه وتأدية الطاعة والولاء له. ولأنّ الدنيا ليست مذمومة، فقد أرسلَ الله سبحانه وتعالى الكثيرَ من الأنبياء والرسل لعباده، ولكن يبقى (حب الدنيا) مذموماً، لأن المبتليَ بحب الدنيا ومهما يكن صاحبَ مالٍ وفير وثروة طائلة، فإنه لا يستطيعُ أنْ يستعمل ذلك المال في سبيل الإحسان أو تقديم خدمةٍ لأي إنسانٍ، بل بالعكس، فهو من شدة حرصه على ماله وطمعه الشديد، يلجأ إلى ارتكاب المعاصي وأعمال السوء بماله. أما الإنسانُ غير المبتلي بحب مال الدنيا، ولو استحوذَ على مال الدنيا كلها فهو غيرُ مُلام وغير مؤاخَذُ لأن كسبَ المال ليس مذموماً، حيث قال الرسول (ص): الكاسبُ حبيبُ الله. يجب على المرءِ العملَ في دنياه بهمة ونشاط متواصلٍ لأن العملَ يجلبُ السعادة لصاحبه. فلو اغتنى المرءُ بعمله وجمعَ ثروة كبيرة، فهذا ليس بعيبٍ أو خطيئة، بل على العكس من ذلك تماماً فهو موضعُ احترامٍ وتقديرٍ. لهذا فإنّ الشخصَ الذي يغتني بعرق جبينه باعتماد الطرق المشروعة، فهو يستطيعُ عند الحاجة أن يصرفَ كلَّ ماله في خدمة شعبه ووطنه، ويتضحُ من ذلك أنه ليس مبتلياً بحب الدنيا.

****

أدب وفن

قصة

سليم بركات وأنطونيو باندیراس وسوار السِّتّ

أحمد عمر

مهندس كهربائي. كاتب ساخر وقاص جاد - من عامودا

اتصلت بي ابنة عمي هالة، المقيمة في هامبورغ، وذكرت لي أن جارها هوشيار كاتب كردي شاب موهوب، وفسيلة بحاجة إلى من يغرسها ويرعاها، حتى تثمر وستنافس بثمارها الأدبية الكتاب الكبار، وإنه من بلدياتي، وهو يبحث عن ناشر يكتشف موهبته الفذّة، فأخبرتها أن عهد دور النشر انقضى، ونحن في عصر وسائل التواصل

الاجتماعي المفتوحة، وأن هوشيار يستطيع أن يكتب على صفحته ما يشاء، وإن كان موهوباً، فسيجد قراء وأصدقاء، فالناس لديها ذائقة صحيحة، وتدرك بغريزتها وحسّها مواطن الجمال وتهتدي إلى الحروف المضيئة، وإن جهلتْ القدرة على النقد والتقييم بالمصطلحات الرنانة، وقد غدت صفحات الموهوبين أهم من بعض الصحف المموّلة من دول ذات حدود وأعلام، وأعرف دار نشر تبحث عن المواهب وتنشر لهم، ثم إننا في عصر الكتاب الالكتروني، وقد توقفت جميع الصحف الورقية بعد غزوة الكورونا، لكنَّ ابنة عمي أكثرت وألحّتْ مبهورة بموهبته ومعلقاته، و زكّته لي، وتزكيتها لا تعني كثيراً، فهي مهندسة مدنية، ولم تقرأ في حياتها سوى كتابيّ الأدب في البكالوريا، والقصص المقررة في الكتابين، وكررت إعجابها بموهبته، وحضّتني على قراءته، حتى شعرتُ أني لو قرأت له، فسأكفّ عن الكتابة هيبةً منه، فهو قلم يُخرس الأقلام ويجفف الصحف.

فاستجبتُ لها، وطلبتُ منها أن ترسل نصاً من نصوصه الفريدة، فقالت إنها لم تقرأ له شيئاً سوى قطعة أدبية على صفحته في فيسبوك، وأرسلتْ لي رابط صفحته، فقرأت، ووجدت نصاً مهلهلا مجندلا، أدنى من كتابات كاتبي العرائض أمام البلدية، ومكاتب السجل المدني، وهو يبدي في النص رغبته الشديدة في الكتابة والحديث عن سيرته الذاتية الملحمية، وقصة حياته، وعبوره حدود الجحيم وبلوغه جنة ألمانيا، التي بُعث فيها خلقاً آخر، وشدّتني عبارةً ذكر فيها أنه عندما وصل عينتاب التركية، هارباً من السَّوق إلى شعبة التجنيد الواقعة على طريق قرية حمدونة، كان يريد أن يسأل عن ابن عمه كي يقضي عنده ليلته، ولا

يعرف عنوانه، وفكر في أن يصعد إلى مئذنة ويهتف باسمه، لكن المؤذنين موظفون حكوميون، والآذان مؤسسة، وقد منعوه، فأخذ يدق الأبواب باباً باباً بكل يد غير مضرجة، وأظنّها مبالغة أدبية منه، ووجدت عبارة دقّ الأبواب باباً باباً جميلة، لكي يقول لهم إنه كردي، وما إن يعرف الترك أنه كردي حتى يهابوه ويفرشوا له السجاد الأحمر، وهو لا يختلف كثيراً عن كتاب كرد يصدّرون صفحاتهم بصورتهم في هيئة الفلاسفة مع جملة عابرة للقارات مثل: لا حياة للكرد إلا بدولة، فإن لم يحصلوا عليها، فقل عليهم السلام، وذهب مع الريح، والبؤساء.

إنّ جملته عن الأبواب غير المضرجة بقبضته الدامية لا تكفي أن تجعل مقاله نصاً أدبياً، وقد خلط في النص السيرة الكاملة بالتفاصيل الصغيرة، فهو يذكر أنه من عامودا، حارة كذا، وأنه درس في البكالوريا العلمية الشعبة الثانية، هذه معلومات لا قيمة لها في النص الأدبي. ثم إنها استأذنتني في أن يتصل بي، فرحّبت، وبعد دقائق وجدته يتصل بي، ويكرمني بالنداء الكردي المؤدب الشهير: خال، فذكر لي، وقد صار ابن اختي، أن في ذكرياته قصصا لم تقع لبشر قط، وهو يريد أن يكتبها، لكن أسلوبه ضعيف، سألته عن رتبة الدراسة التي بلغها، فذكر لي أنه لم يكمل البكالوريا، مع أنه ذكي، وذهب إلى الجيش حتى يخلص من كابوس الخدمة العسكرية، وينطلق في مدارج الحياة وسلالم المجد، وخدم في المنطقة الفلانية من بيروت، التي قضى فيها أوقاتاً رائعة، مع القائد الفلاني من القرداحة، وسألني ألم تسمع به؟ فأنكرت، وقال إن ضابط القرداحة كان متنفذاً، وأنه ابن حرام، لكن ابن الحرام أحبّه، وأعجب به، حتى أنه اتخذه حارساً خاصاً. هوشيار، اسم يعني الفطن

واليقظان والمتنبه، وبالمصرية المفتّح، نسى نفسه، فسرد ما شاء، وكان ينتقل مثل الطير من حديث إلى حديث، وقال إن قصصه تشيب لهولها الولدان، وإنه حالياً في المانيا، ويجيد الألمانية لكنها مكسرة القواعد، المذكر مؤنث، والمذكر محايد، و الخنثى خنثى، وأن الألمان يشجعونه على الكتابة، وهو يروي لهم قصصه، وهو يحب أن يكتب بأسلوب نزار قباني، فقلت إن نزار شاعر، ونثره قليل، فقال إنه يحبه، وطلبتُ منه أن يرسل لي نصاً، فأرسل نصه عبر الماسنجر، وهو الذي قرأته على صفحته، ولم يكن بحاجة إلى إرساله، فالماسنجر هو خباء فيسبوك وفيسبوك هو شرفة ماسنجر ! وقال لي إنه يجد نفسه قريباً من أسلوب "ماركيز"! فسألته عن الروايات التي قرأها لماركيز، فقال إنه لم يقرأ له سوى صفحة واحدة من رواية "مائة عام من الوحدة"، وأعجب بأسلوبه الرائع، وكان قد ذكر في نصه حريق سينما عامودا، وهي بلدتنا، التي يسميها أبناؤها ماكوندو الكردية، وقد نال على نصه حوالي مائة و88 لايكاً، منها قلوبا حمراء وأثبت وطنية لا غبار عليها، وذكر الأطفال الذين أحرقوا في السينما، لأن الأعداء شمّوا أن هؤلاء الأطفال والصبيان سيؤسسون دولة كردية، وهم يخافون من الكردي، لأن الكردي إذا شمّ رائحة البارود فسلام على الجيران، كما يقول شاعرهم الأوحد العظيم جكرخوين، وأهل عامودا يبالغون في البكاء على ضحايا السينما المحروقة، وتحويلها من مأساة قدرية إلى مجزرة عربية ومكيدة سياسة استئصالية ضد الكرد، وغالباً ما تتحول ذكراها إلى ملطمة حسينية على صفحات الناشطين الجدد، وطريقة للحصول على اعجاب المعجبين السهلة ،لا أظن الإعجابات نالها من جملته

الشعرية البديعة في قرع الأبواب باباً باباً، فصفحته خالية، كباقي الوشم في ظاهر اليد، لكن لم أعرف سبب اتخاذه صورة أنطونيو بانديراس غلافاً لصفحته، وقلت سأسأله عن أفضل أفلام بانديراس، فإن عرفها، فذلك مفتاح جيد لشخصيته وذوقه، وعلمت منه أنه يعمل في محل حلويات، و إنهم يصدرون أنواعها الشامية إلى مختلف أصقاع المانيا، وطمعتُ في أن يرسل لي علبتين أو ثلاثاً من الحلويات، وأخبرني كالأصم الأعجم ،إنه لم يكتب حرفاً حتى الآن، لأن أسلوبه لم ينضج بعد، فقلت له إن الأسلوب هو الرجل، والرجل هو الأسلوب كما يقول المثل، والرجل يولد طفلاً باكياً، والناس حوله يضحكون سروراً، ثم يحبو، ثم يمشي معتدلاً، فإن كان الكاتب موهوباً، صار عدّاءً، وحطم الأرقام القياسية، وبعض الكتاب لم ينضج أسلوبهم حتى بعد نصف قرن من الكتابة، ولايزالون من غير أسلوب، فهم يكتفون بالمشي، والمشي نعمة، وقد يكتبون كتابة تؤدي غرض الإبانة عن المقصد، من غير بلاغة البيان ونعمة الصناعة الأدبية.

قال لي إن قصة حياته تشبه شيفرة دافنشي، ولا بد أني اطلعتُ عليها، وقال إنه سيكتب قصته على فصلين، ينشر فصلا، ويدّخر فصلا للأجيال القادمة، لأنه هناك أسرار في حياته لا يصلح أن تنشر على الملأ. قلت له إن كل الناس قصص وحوادث وأسرار وليس كل ما يعرف يقال، وأخشى أن يتوهّم أن قصته ملحمية، وأنا نفسي لدي قصص عشتها، وهي من سيرتي، ولا أستطيع كتابتها ومواجهتها، وذكرت له أن فن الكتابة تراجع أمام هجمة الصورة الإمبريالية الشرسة، فالناس في هذه الأيام تجلس وتتكلم عبر الفيديو، حتى أن كتّاباً

تحوّلوا إلى قراءة نصوصهم بأصواتهم وصورتهم، عبر الفيديو، ويبدو أن أمة اقرأ ما زالت أميّة، ولا تزال على عكس الأوربيين، الذين نجدهم يقرؤون، فسألني عن السبب فقلت: القراءة مكلفة، والكتاب له سعر، بينما الصورة والفيديو مجانيان، كما أن الفيديو سهل وأرخص جهدا من الكتابة ولا يحتاج إلى قواعد، وليس مثل القراءة، تحتاج إلى خيال، والخيال من الخيل، والخيل فروسية، والفرسان قليل عديدهم، وقلت له إنه يمكنه أن يستحدث منصة يوتيوب، فقال إنه مصرّ على الكتابة، ومعه حق، فقد أقسم الله بالقلم، وأول آية نزلت من القرآن هي اقرأ، حتى اليوتيوب، وهو يحكي ويتكلم، فهو يقرأ نصاً مكتوباً، أو نصا في ذهنه، سألته عن سبب اختياره لأنطونيو بانديراس غلافاً لصفحته، فابتسم، وقال لي إنه يشتهي أن يأكل عيني على هذا السؤال الكريم، وهو تعبير كردي، وشكرني على سؤالي، قال إنها صورته، وإنه يشبه الممثل الاسباني الشهير الخالق الناطق، وذكر لي أن صاحب صالة أزياء المانية في هامبورغ عرض عليه أن يعمل عنده عارض أزياء، فأبديت إعجابي به وبوسامته، وشعره الطويل، وخصلة شعره المجعدة المسدلة على جبينه، وسألته عن صحته، فقال إن قوامه رائع وصحته زي الحديد، وهو مصارع، وكردي طبعا، ويجيد بعض أنواع القتال، وسألته عن عمله، فقال إنه يعمل في محل حلويات في هامبورغ، والمحل ناجح، والإقبال كبير على الحلويات الشامية التي يعملها في حلب، وقال لي إنه مسبّع كارات وصنائع، وكردي أصلي، ومظلوم تاريخيا، وكنت قد مللت من حديثه، وحاولت أن أهرب منه، ووددت لو ذكّرته بالحلويات، لعله يرسل لي علبتين أو ثلاثاً من حلوى سوار

الست، فجعلت أصبّر نفسي، وقلت سأثني على قصته وأشجعه، وقال إنه لا يمانع من أن يرويها لكاتب ما، فيكتبها، شرط أن يكون اسمه الأول في الظهور، وصائغ القصة دوبليرا، أو تالياً في الترتيب على غلاف الكتاب، قلت له إن هذا غير شائع، وغير معروف، ولم أجده سوى مرة واحدة في رواية زوبك زاده، التي ترجمها عبد القادر عبد اللي، وصاغها خطيب بدلة، وتذكرت له قول بنيامين فرانكلين: إما أن تكتب شيئاً يستحق القراءة، أو تصنع شيئاً يستحق الكتابة، وقلت له إنه يستحق أن يكون بطلاً لقصة أو راوية، فقال إنه يجد رغبة كبيرة في الكتابة، وإنه عثر مرة في أحد الأسفار على سينمائي تركي، فعرض عليه أن يحول قصة حياته إلى فيلم، وأن يمثله بنفسه، فهو وسيم ويشبه أنطوينو باندیراس، وكردي ومظلوم تاريخيا.

وطلبت منه ثانية أن يروي قصة أو حكاية، فلعلي أجد ما يصلح للكتابة، وإن النائحة ليست كالثكلى، وأنا أفكر في الحلويات وأطمع في أن يسألني عن عنواني، والدنيا رمضان، ويرسل لي علبة أو علبتين من الحلويات، ثم إني سألته عن قراءته، فقال إنه لم يقرأ لأحد سوى سليم بركات، "روايته" سيرة الصبا، وبكى عندما انتهى منها، فتعجبت، فكل الذين قرأوها ضحكوا، وسألته عن سبب بكائه، فقال لأن القصص التي سيكتبها أجمل من قصص سليم بركات بألف مرة، وسليم لن يكون نقطة في بحر موهبته، وهو يريد أن يكتب قصة مثل شيفرة دافنشي على نسختين، نسخة للنشر، و يدَّخر نسخة سرية للحفظ والأجيال القادمة، وهو يريد أن يكتب ويربح مالاً كثيراً، حتى يحضر أمه إلى المانيا، فهو يحبها ويريد أن تعيش معه، قلت له هذه مشاعر نبيلة، لكن الكتابة لا

تكسب مالاً، استيقظ من أحلامك يا باندیراس، وارو لي قصة، من يدري قد أستأذنك في كتابتها، وأذكر على الغلاف اسمك، بل قد أضع اسمك عنواناً لقصة "هوشيار باندیراس"، فذكّرني بأننا من بلدة واحدة، وأنَّ والده كان لديه مقهى، أتعرف مقهى دريشو، فقلت له إني أعرفه، كان مقهى صيفياً، قال إنَّ والده كان صاحب المقهى، ووالده من قرية حاصدة، التي كانت تسمى لندن الصغرى، قلت له إني لم أسمع بهذه الصفة قط، ولا أعرف سبب التسمية التي تذكرها، قال لأنها كان فيها بلياردو في منزل حمدو آغا، فتعجبتُ من الأمر، وذكرت له أنَّ أبي عاش فترة في هذه القرية، وأنَّ أهلها كان يلعبون بالكعاب عندما كنت صغيراً، ويسميها الكرد كابا، وهي لفظة الكعب محرّفة عن العربية، مثل كوبيك اللاتينية وأصلها الكعب، وهم يلعبون الحجارة، ويسمونها لاكا، وهي من لاقى العربية محرفة، والله أعلم، المهم أنَّ أنطونيو وجد عندي آذاناً صاغية ونفساً واعية، وكلّي طمع في علبتين من الحلويات الشامية، وبدأ يروي قصته الهندية، فقال إنه كان له جدّان، جدّ لأمه، وجدّ لأبيه، وكانا متخاصمين، لأن أحدهما كان مسلماً تقياً، والآخر كان فاسقاً، ويحبُّ النسوان، وأن جدّه التقي خطب لابنه من جده الفاسق ابنته، الابن الذي هو والد الكاتب أنطونيو، فتزوج باكراً، وكان يعمل كثيراً في الفلاحة وشقي وتعب، وأنَّ صاحبنا ولد مع عشرة أولاد، وكانوا يعيشون في غرفة واحدة، وأنه كان يسمع والده وهو يأتي والدته ليلاً، ولا أعرف سبب ذكره هذا الخبر، الذي يجب أن يرد في النسخة السرية من شيفرة دافشني للأجيال القادمة، وسألته إن كان قرأ رواية دان براون، قال إنه قرأ نصفها، لكنه تعب منها، وهو مثقف، بشهادة

أصدقائه، ويعرف روايات كثيرة مثل الأم مكسيم غوركي أيضاً، ولم يقرأها كلها، لكنه يعرف أن بطلها قال للبطلة وهما في القطار، أن عنده خيالاً رائعاً، فوجدت أني تعبت، ولم أعد أرغب في علبة من الحلويات الشامية، وسألته: بما أنك تشبه أنطوينو باندیراس، فلا بد أنك محبوب من النساء، فقال إنه محبوب جداً، وله قصص حب مع نمساوية وألمانية وهولندية وفارسية... وقصص الحب التي عاشها لا تعدُّ ولا تحصى، فسألته مازحاً إن كان هذا الحب، من طرف واحد، مثل حبي عندما كنت صبياً، أم حبا من أربعة أطراف؟ فأكّد لي حالفاً بالله من فوق سبعة أرقعة، أنه كان يحبُّ من أربعة أطراف، ثم وجدت أنه فهم من عبارة أربعة أطراف قصداً آخر غير الذي قصدته، وهو الحب فوق السرير، وأقسم لي أنه جندل عشرات النساء على السرير وقطف منهن اللوز والسكر، وكنت أظنُّ أن مثل هذه الأخبار مؤجلة للنسخة السرية من شيفرة دافنشي التي سيكتبها للأجيال القادمة، وسألته عن أعماله الأخرى قبل تعلم صناعة الحلويات، فهي مهنة لا يبوح أهل صنعتها بأسرارهم، فصناعة الحلويات صناعة كبيرة، وتعجبت من إتقانه لها، فذكر لي أنه صاحبَ حلبياً في أثناء السفر والإبحار، وأنقذه من الغرق، فصارا صديقين، وتشاركا في محل حلويات، وهو يريد أن يكتب قصته أيضا. آيست من الحلويات، وطلبت منه أن يكتب، اكتب كما يكتب أصحاب العرائض أمام البلدية، يعني يكفي أن تؤدي عبارتك بعض المعنى وسأحاول مساعدتك، فقال إنه يستطيع، قلت اكتب لي قصة واحدة مختصرة، بما لا يتجاوز صفحة، وأرسلها، وسأطّلع عليها، وأخبرك برأيي، فقال إن عشر صفحات قليلة، لا بد من مائة صفحة، سيختصرها

إلى عشرين صفحة، رجوته أن يقتصد، ثم سألته إن كان قرأ لي شيئاً، فقال إنه لم يقرأ لي، وما عرفني إلا من خلال ابنة عمي علياء، فذكرت له أن اسمها هالة وليس علياء، فاعتذر بأن اسمها مكتوب باللاتينية على صفحتها، وحزنت لأني ظننتُ أني صرت مشهورا ويعرفني الناس ويقصدونني لهدايتهم إلى الكتابة الصحيحة، واعتذرت منه، فقد طال الحديث الذي استدرجني إليه، ونويت أن أجد طريقة للهروب من الحكم على قصته، إلا إذا أهداني علبة من الحلويات الشامية وأنا أحب سوار الست، وهممت بأن أذكّره بتجنب التذكير بأنه كردي كل سطرين، ويمكن أن يذكر ذلك مرة واحدة، لكني لم أفعل، وتذكرت فقهاء الظلام لسليم بركات، وقلت إذا كتبها سأجد طريقة للهروب من قراءتها، وإلى ذلك الوقت:

قد يموت الحمار.

أو أموت أنا.

أو ينتحر الملك بثلاث طلقات في الرأس.

وتواعدنا واعتذرت له وودّعته، ثم خطر لي أن أهديه إلى الكتابة بالكردية، بالحرف العربي كما يكتب كرد الشمال، او بالحرف اللاتيني كما يكتب كرد الجنوب، وعندها لن يحتاج إلى تذكير القارئ بأنه كردي كل صفحتين، وأني أخشى عليه السقوط في البلاغة اللفظية التي غرقت فيها الرواية العربية فترة ونرى مثالها في سرد نجيب محفوظ في أول رواية له: "كانت السفينة تصعد في النهر المقدس، ويشق مقدمها المتوج بصورة اللوتس الأمواج الهادئة الجميلة، يحتث بعضها بعضًا منذ القدم

كأنها حادثات الدهر في قافلة الزمان، بين شاطئين انتثرت على أديمهما القرى، وانطلق النخيل جماعات ووحدانا..." وإن هذه الصناعة الأدبية ليست سهلة فهي صناعة أيضا وإن قلَّ الطلب عليها، ولن يصعب عليه الحبر ما دام قد تعلم صناعة رقائق الذهب الغارقة في القطر الحلو والمسمّاة البلورية أو سوار الست، إن صدق، لكني كنت أفكر في الحلويات، وسألته عن أنواعها، لعله يسألني عن عنواني، ويرسل لي علبة أو اثنتين من عشِّ البلبل، فتصل قبل يوم العيد، وذكر لي سبعة من أصنافها، بينها البقلاوة وحلاوة الجبن والنابلسية التي أحبها والبلورية والكنافة والفيصليات والمعمول والنمورة، فسررت بحديثه عن الحلويات، وفضلته على حديث القصة والكتابة، لكن أنطونيو ابن صاحب مقهى دريشو، بكالوريا علمي شعبة ثانية نسي أن يسألني عن عنواني، فقد كان مهموما بالرسالة التي تثقل كاهله ويريد أن يبلغها الأجيال ويحتفظ بنسخة سريّة منها، ورأيت أني كان عليَّ أن أكاشفه، لكني خجلت، وأحببت مثابة المعلم، وأخذني الكِبْر، ويئست وتعبت، فنحن في رمضان والريق يجفُّ، والأقلام تتكسر، والنصال تتحطم، وانقضى النهار، وبدأ الليل بالاعتكار، وحان موعد الإفطار.

شعر:

أنا التي خطفها القمر

فاتن حمودي: صحفية وشاعرة من دمشق

-1-

أنا التي خطفها القمر

أوراقُ خريفٍ تحمُلها الرِّيحُ

إنه فصلُ الرّواية...الأخير

التفتُ إليكَ ..... إلى أشيائك.... صوت كناري

..... ورد فستاني

الخَواء يتربصُ في الغرفة...في دهاليز البيت...يُعرشُ على الجدران...يتمدد مع الشمس...يتغلغلُ مع الليلِ...يتنامى مع الوقت

الخَواء كرسيٌ فارغ يهتز ... مع الريح

صوتُ صمتٍ ... يتطاير

الخواء ...غيابُك المُر

"جرارٌ معتقةٌ... رائحُة بنٍّ وزعتر ... أنتِ"... يقول

ينبتُ لي ألفُ جناح تسكبين الشعر تلتمعُ عيناي

أنتَ في آخر الكون! أضحكُ... الكون هنا أيتها المجنونة

الخَواء يولول كريح

يقف رجل ... مُلوحٌ بشيب الفقد... يُمسك المكانَ إلى آخره

بخطوات مجنونة يمضي

هل تعرف معنى أن يقف رجل وجها لوجه أمام كثبانٍ تسيل عشقا؟!

صحراءٌ.... رملٌ كأنه أسرابُ نساء هاربات

الخواء إنسان يهرم ويشيخ

فكيف نحفظُ يُونس في بطن الحوت... والزبد يملأ النص

يا للعنبر يفوح من عشبك المتلألئ بصوت الوحدة

على ورقة ممزقة الخَواءُ مرسومٌ

أضمُكَ...

نصلُ إلى أعمقِ نقطة في الموت ... أحيا بكِ صدقيني ... لا أحد إلاكِ

أتحسسُ جسدي.. انا التي خطفَها القمرُ

أُمرِّغ وجهي بعشبِ الغياب... ايُّ مدن تسكنكَ

أي حاراتٍ وساحات... أكتملُ بكَ في لحظةِ خطفٍ

ألتفتُ بكلي ... لا دمشق هنا ولا حلب

لا شيء ...

الخَواء لا نهائي أبدي هنا ...

أضع يدي بيدك ... أفتح بابي على فصلٍ بألف لون ومطر وغبار

الخواء رصيف البحر وحيدا

رطوبة تخنق الزمن

الصحراء تميمةُ النار كأنّها شربَت الشمسَ كلَّها

صوتي مبحوح

على أيِّ حلم سأخطو؟

إنّه فصلُ الرّواية الأخير

وأنا أزين طاولتي بتاجِ الورد

-2-

الأبديةُ لحظةُ عناقٍ عاصفٍ

الوردةُ تتململ، تركض،

حتى الترابُ غريبٌ هنا

-3-

مثل طرفة عين

أمطرنا معا

ضائع... العُمرُ

الشعرُ يلوبُ

لازمنَ في أرضٍ لا تمطر

-4-

في مكان ما من الليل ثمة إنسان وحيد

أحضنُ ركبتيّ الى صدري

أنطوي

ما زلت أحمل ورقة خريف في يدي

لا أحد يرنُّ

الليل ظل على جدار القمر

إصدارات جديدة:

١ـ كتاب (كرد سوريا؛ التاريخ والسياسية والمجتمع)

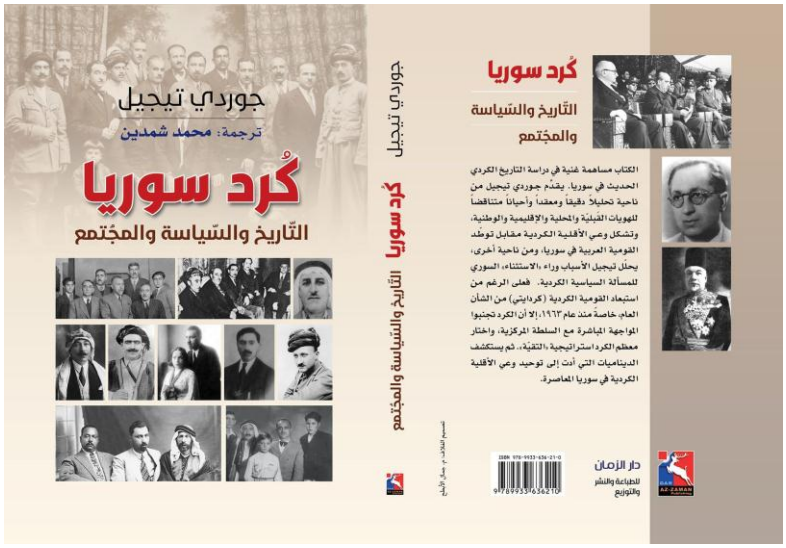

للباحث: **جوردي تيجيل**

النسخة العربية من ترجمة: **محمد شمدين**، إصدارات دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، يقع الكتاب في ٣١٢ صفحة من القطع المتوسط.

الكتاب مساهمة غنية في دراسة التاريخ الكردي في سوريا منذ فترة الانتداب (١٩٢٠- ١٩٤٦) إلى الوقت الحاضر (تاريخ إصدار الكتاب ٢٠٠٩). يقدِّم جوردي تيجيل من ناحية تحليلاً دقيقاً ومعقداً وأحياناً متناقضاً للتعبير بين الهويات القَبليّة والمحلية والإقليمية والوطنية، وتشكل وعي الأقلية الكردية مقابل توطّد القومية العربية في سوريا، من ناحية أخرى، وبالاستعانة بمواد غير منشورة كالسجلات الفرنسية والصحف الكردية لا سيما في فترة الانتداب، يحلّل تيجيل الأسباب

وراء «الاستثناء» السوري حول المسألة السياسية الكردية. فعلى الرغم من استبعاد القومية الكردية (كردايتي) من الشأن العام، خاصةً منذ عام ١٩٦٣، إلا أن الكرد تجنبوا المواجهة المباشرة مع السلطة المركزية، وكيف زرعوا داخلياً أشكال الهوية التي تحدد الأيديولوجية الرسمية. يستكشف الكاتب الديناميات التي أدت إلى توحيد وعي الأقلية الكردية في سوريا المعاصرة، على شكل عملية مستمرة يمكن أن تأخذ منحى متطرفاً أو حتى عنيفا.

في الوقت الذي يقدم فيه الكاتب مقاربة مفاهيمية صارمة في هذا الكتاب، فإن المادة الاثنوجرافية فيه تجعل مادته مقنعة، فهو لن يستهوي فقط شغف الباحثين والطلاب في الشرق الأوسط، بل كذلك المهتمين بالتاريخ والصراعات العرقية، ونظريات الحركات الاجتماعية، والعديد من القضايا الأخرى ذات الصلة.

يسلّط الكتاب الضوء على العديد من المواضيع، منها ما يتعلق بضرورة إعادة تقييم فترة الانتداب (١٩١٨-١٩٤٦) مع ظهور بعض الديناميات السياسية والاجتماعية في المجتمعات الكردية التي بدأت منذ بناء سوريا المعاصرة حتى الوقت الحاضر، كما يؤكد الكتاب على أهمية فترة الانتداب في إنشاء «ثقافة سياسية» معينة للنخب المدنية والدينية الكردية، التي اتبعت المواجهة السلمية، وصياغة مشهد سياسي غامض. كما تطرق الكتاب إلى موضوع «الأطراف» لدى المجموعات الكردية وضرورة إقامة «جسور» بين الكرد والسكان السوريين الآخرين، وبيان وصف مفصل لتاريخ الكُرد، والذي يشتمل أحياناً على اختلافات زمانية عن باقي السكان السوريين.

جوردي تيجيل، هو بروفيسور في التاريخ بجامعة (فريبورغ، سويسرا) وعلم الاجتماع بمدرسة (الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية- EHESS، باريس)، وهو حالياً زميل ما بعد الدكتوراه

في EHESS، باريس. تتركز اهتماماته البحثية على القومية في الشرق الأوسط، مع اهتمام خاص بالتعبئة الكردية في فترة ما بين الحربين. وهو مؤلف العديد من الكتب والمقالات، منها؛ الحركة الكردية التركية في المنفى، الاستمرارية والانقطاع للقومية الكردية تحت الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان (١٩٢٥- ١٩٤٦).

٢- كتاب: الطواحين المائية في إقليم الجزيرة السورية

تأليف: **رستم عبدو، بهور جولي، م. حسن يوسف**

تدقيق علمي **د. آزاد احمد علي**

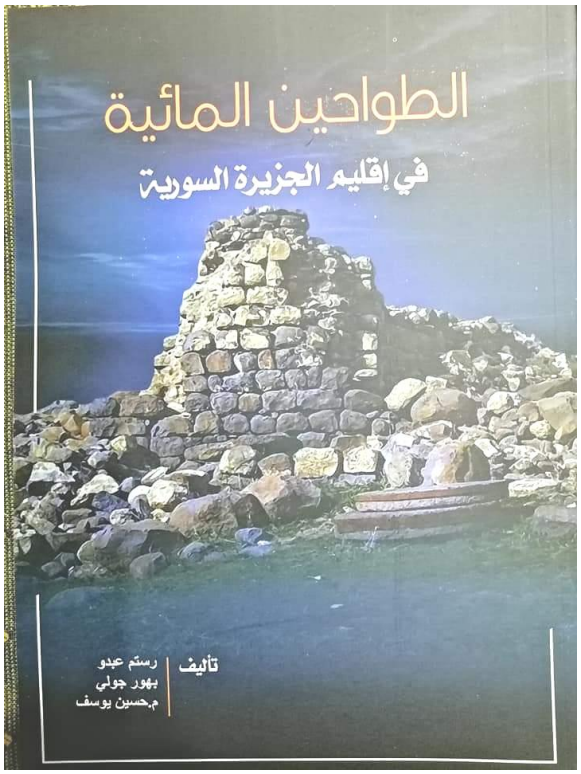

يعد هذا الكتاب أحد اهم الكتب التوثيقية التي صدرت حول التراث المادي في الجزيرة السورية، والمناطق الكوردية منها بشكل خاص. فالطواحين المائية تعد من أهم المنشآت التي استمرت عبر العصور

التاريخية، وكانت عماد الحياة الحضرية والمجتمعات الفلاحية الكردية طوال مئات السنين.

نجد في الكتاب سرد تاريخي وتوثيق هندسي بالصور والمخططات لعشرات المطاحن التي كانت تعمل حتى النصف الثاني من القرن العشرين.

تم في الكتاب تسمية وتوثيق ودراسة هذه المطاحن بدءا بتلك الموجودة بريف شرق نهر دجلة وحتى مدينة قامشلي غربا. يقع الكتاب في ١١٨ صفحة من القطع الصغير. من اصدار دار شلير ٢٠٢٠ – قامشلو.

٣- رواية أحلام في البحر

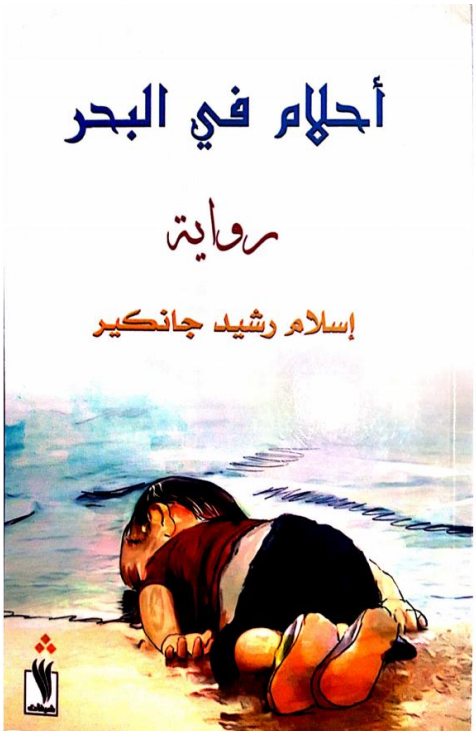

صدرت رواية أحلام في البحر. وهي للكاتب الدكتور اسلام رشيد جانكير. ترصد الرواية معاناة المهجّرين السوريين متّخذة من شخصية آلان وعائلته أبطالًا يمثّلون هذه المعاناة التي تبدأ من الظلم والحرب

الدائرة في سوريا بسبب الظلم، وسكوت المجتمع الدولي واكتفائه بإبداء مشاعر القلق وموقفه المتفرّج وكذا منظمات حقوق الإنسان. وامتزجت الأحداث الواقعية في النص بالخيال، ووظّفتُ شخصيات ثانوية حقيقية من قرية الكاتب الأصلية، وهي قرية مرجة المجاورة لرميلان ضمن الرواية، حتى تجسّدت في الرواية جانب من طفولة الكاتب في قريته، معبرا عن شوقه وحنينه لموطنه، وهو بعيد عنها منذ سنوات. لدرجة أن امتزجت معاناة الكاتب مع معاناة كل المهاجرين عن بلداتهم ومساكنهم في كل أرجاء سوريا. تصل الأحداث إلى الذروة حيث ركوب البحر والغرق، والنهاية شبيهة بالفانتازيا، إذ يموت أبطال الرواية من جهة ومن جهة أخرى يبدو الحدث كحلم، فيستيقظون ويعودون إلى الوطن المتمثّل بالقرية عند الطفل آلان بطل الرواية.

تقع الرواية في ١٢٩ صفحة من القطع الصغير صدرت عن شرفات للنشر – تركيا ٢٠٢١

٤- لامركزيت

خريطة طريق لنموذج وطني لكردستان... والعراق

كتاب باللغة الكردية عن اللامركزية وبناء الدولة المدنية

صدر مؤخرا (٢٠٢٠) باللغة الكردية في إقليم كردستان العراق كتاب بعنوان «اللامركزية، خريطة طريق لإقليم كردستان - العراق»، للكاتب **لاوك صلاح.**

الجديد في هذا الكتاب أن المؤلف يعد اللامركزية، كآلية استراتيجية، يمكن لها أن تساعد تدريجياً، على خلق تنمية سياسية مستدامة على المدى المنظور، وذلك من أجل تجاوز التراكمات والنزاعات السياسية التي رسمت الحياة السياسية العراقية لعقود طويلة من الزمن، والتي خلقت الخلل والشرخ الواسع في بناء الدولة العصرية المنشودة بعد تاريخ طويل من وجود حكم خارج الإرادة السياسية الوطنية، امتدت من الحكم العثماني إلى الاحتلال البريطاني.

كما يتم فيه استعراض المواضيع المطروحة على جوانب مهمة تخص الأسس والمفاهيم الديمقراطية مثل النظام الاتحادي، وآليات تنفيذه. ويحدد الكاتب في المحاور الأولى البيئات التي شجعت على تبني اللامركزية، إن كانت ادعاءً أو تبنياً جدياً، بدءاً من فصول الربيع العربي وتغير النظام في العراق وبقية الأنظمة في بعض البلدان العربية. وفي الكتاب نجد شرحا للأركان الأساسية لمسألة اللامركزية، فضلاً عن النماذج المتبعة في العالم لتقصي العقبات والتحديات أمام كل نموذج.

ومن أجل الإلمام بجميع النواحي الأساسية المتعلقة باللامركزية، ومن ثم البحث عن هوية لمفهوم اللامركزية في إقليم كردستان بشكل خاص، والعراق بشكل عام، كما يتطرق الكاتب إلى علاقة اللامركزية بالدستور ومسألة التعديل وتجربة المنظمات في العراق والإقليم والتهديدات التي تصاحب عملية التطبيق وأنواع اللامركزية، مثل

اللامركزية السياسية والمالية والإدارية، وذلك من أجل استنباط الدروس والعبر التي تساعد على رسم برامج جديدة من خلال المراجعة والتقييم.

وفي القسم الأخير، يؤكد الكاتب على أنه ينبغي خلق نموذج حل محلي بآليات معرفية دولية تعكس الخبرة النظرية والعملية، وتُظهر الفهم السياسي العميق للإشكالات السياسية والهياكل التي من خلالها تم الترويج لأفكار لم تساعد على إيجاد حلول وطنية. بمعنى ضرورة تجسيد حل محلي، وليس الوطنية كشعار سياسي بدون معنى.

الذكاء الاصطناعي

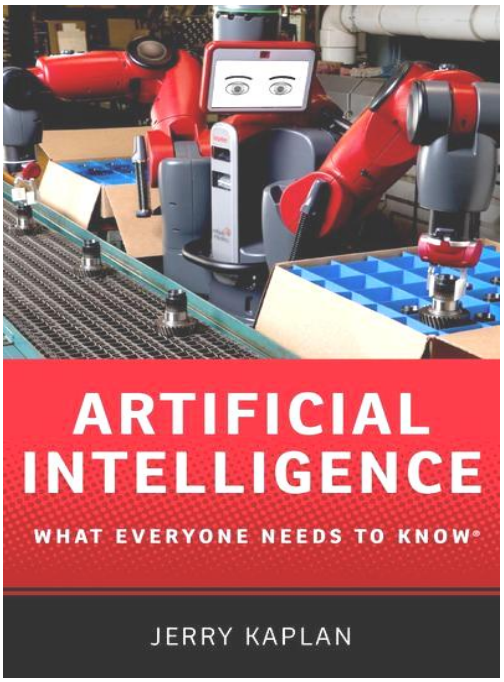

لمؤلفه **جري كابلان**. وهو كتاب شديد الإمتاع، يضم ثمانية فصول يحتوي كل منها على مجموعة أسئلة يسعى المؤلف إلى الإجابة عنها.

يبدأ الكتاب بفصلٍ تمهيدي يتناول تعريفاً (إجرائياً) للذكاء الاصطناعي، وعمادُ هذا الفصل ثلاثة أسئلة: ما الذكاء الاصطناعي؟ وهل الذكاء الاصطناعي علم حقيقي؟ وهل يمكن للحاسوب يوماً ما أن يكون أذكى من الكائن البشري؟ وهكذا، يمضي المؤلف في تناول بقية الفصول بالهيكلية التفاعلية ذاتها التي تجعل القارئ يعيش عالماً سردياً تخيلياً كأنه يحاورُ حاسوبه الشخصي.

ويتناول الفصل الثاني تأريخاً فكرياً للذكاء الاصطناعي، وهو فصل شديد الإثارة، ثم يتناول في الفصل الثالث بعضاً من الجبهات المتقدمة لمباحث الذكاء الاصطناعي. أما الفصل الرابع فيتناول فلسفة الذكاء الاصطناعي؛ وأرى أن هذا الفصل يماثل الفصل الثاني في الإمتاع والإثارة، وسيجد كل عقل شغوف ذي ذائقة فلسفية لذة كبرى في قراءة الإجابات التي أوردها المؤلف للأسئلة الفلسفية التأسيسية في هذا الفصل. ويمكن عد الفصول الأربعة الأولى بمثابة خريطة فكرية لموضوعة الذكاء الاصطناعي. أما الفصول الباقية فتتناول موضوعات مجتمعية ذات نتائج سياسية - اقتصادية مركبة: الذكاء الاصطناعي والقانون، وتأثير الذكاء الاصطناعي على العمالة البشرية، وتأثير الذكاء الاصطناعي على العدالة المجتمعية، وبعض التأثيرات المستقبلية المحتملة للذكاء الاصطناعي في موضوعات محددة كالأطفال والذكاء الاصطناعي، والحلول المتفردة التقنية الناشئة بسبب الذكاء الاصطناعي، الذكاء الاصطناعي والصراعات المستقبلية، وعالم ما بعد الإنسانية.

الفهرس

١- الأكراد والعرب .....ابراهيم أحمد ص ١٦

٢- العلاقات الكُردية - العربية قبل الإسلام ... د. أحمد خليل ص ٤٠

٣- ليس بالاضطهاد يُخاطَب الأكراد..... محمد الحسناوي ص ٥٠

٤ - مقدمات في الحوار العربي الكردي... رياض درار ص ٥٧

٥ - عن أوهامٍ وأحلامٍ تعيق الحوار الكردي- العربي في سوريا

موفق نيربية ص ٦٥

٦- المواطن الكلب مدعواً إلى الحوار العربي - الكردي!

إبراهيم العلوش ص ٧٩

٧– حوارات .....الدكتورة سميرة مبيض ص ٨٨

٨- عقد الجمان في تاريخ ناحية الزوزان ... دلدار ميتاني ص ٩٤

٩- المشهد العمراني لريف شمالي سوريا في المرحلة العثمانية...

د. آزاد علي ص ١٠٥

١٠ - قرى كوردية ... ... المحامي: محمود عمر ص ١١٤

١١ - قراءة في الكتب والمطبوعات....ترجمة نوّاف عبد الله ص ١٢٣

١٢ - سليم بركات وأنطونيو بانديراس وسوار السِّتّ...أحمد عمر ص ١٣١

١٣ - أنا التي خطفها القمر ... ... فاتن حمودي ص ١٤٢

١٤ - إصدارات جديدة ... ... ص ١٤٦